باريدوليا فتاة اللوحة

باريدوليا

فتاة اللوحة

رواية

أميرة علام

باريدوليا فتاة الوحة

اسم الكاتبة: أميرة عــلام
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 1643 / 2019

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

مايو
الثامنة والنصف مساءً..

مرحبًا، أنا عمر، في السابعة عشر من العمر، أقيم مع جدي من أبي.

منذ أن كنت في الخامسة من العمر انفصل والِدايَ، وكل منهما تزوج بآخر وأصبح له حياته، فأخذني جدي ليرعاني، رغم انشغاله بعمله كطبيب نفسي شهير يرعاني أفضل رعاية، أظن لو كنت أعيش مع أبي وأمي لم أكن أحظى بتلك الرعاية والاهتمام بمواهبي ومهارتي.

أقف الآن وسط حجرة الرسم الخاصة بي مرتديًا سروالًا قصيرًا من الجينز وسترة سوداء دون أكمام، أكثر ما يُميز الحجرة هو الفوضى.

لوحات بالية معلقة في أماكن متفرقة، كما أن الجدران ملطخة بالألوان، عندما أمزج لونين معًا أجرب ما أمزجه على الحائط الذي أمامي إن لم يكن في اللوحة، وعلب ألوان فارغة ملقاة هنا وهناك.

وضعت آخر لمسة في لوحتي ووضعت الفرشاة فوق أذني اليمنى ووقفت أمام اللوحة أطقطق ظهري وأنا أنظر لها بانتصار، فأفضل لحظات حياتي هي حين أنتهي من رسم لوحة جميلة، شعور آخر ضربة فرشاة في اللوحة بالنسبة لي كشعور طبيب أجرى عملية جراحية نسبة نجاحها 50% ونجحَت، كما أن هذه اللوحة هي المكملة لعدد لوحاتي اللاتي سيعرضن غدًا في أول معرض خاص بي.

ظلَلتُ أتأملها بحب كعادتي بعد انتهاء أي لوحة، طبيعتي كفنّان أحب التأمل في أي شيء.

شيء ما في اللوحة لفت نظري جعلني أعقد حاجبيَّ استغرابًا وأحدق بها أكثر؛ رأيتُ وجه فتاة بكل تفاصيله وشعرها المنسدل على كتفيها، لم ألحظ ذلك الوجه إلا بعدما انتهيت، تراجعتُ قليلًا ووقفتُ في زاوية أخرى رأيت الوجه كما هو.

لم يطُل استغرابي؛ فقد تحدث معي كثير من هذه الأشياء عندما أرسم ما يدور بداخلي من أفكارعبثية، وأجد شيئًا غريبًا ظهر في اللوحة.

نظرتُ إلى هاتفي على المقعد جواري، أضأتُه لأرى كم الساعة؟ وجدتُها الثامنة والنصف مساءً، فاتجهت إلى حوض المياه الموجود في زاوية الغرفة؛ لأنظف الفُرَش من الألوان- الجواش- ألواني المفضلة.

تلك الغرفة هي عالمي، وضعتُ الفُرَش في مكانها المخصص واتجهتُ إلى جدي في الطابق العلوي، دخلت مكتبه وجدته جالسًا على كرسيه الدوار بوقار يقرأ كتاب السيكولوجية النفسية لفِرْوِيد، لا أعلم كم هي المرة التي أراه يقرأ فيها هذا الكتاب، كان مُنسجمًا في القراءة والبايب في فمه يستنشق منه النيكوتين، لم يلحظ وجودي حتى قلتُ:

- جدي، انتهيتُ الآن من لوحتي الجديدة.

نظر لي وهو يعدل نظارته الطبية، وقال:

- حسنًا، سأراها بعدما أنتهي من القراءة.

أخذتُ الكتاب من يده، أغلقته ووضعته على المكتب المقابل وقلت:

- لن تطير القراءة، اللوحة بها شيء غريب أريدك أن تراه.

مرّر جدي يده على شعره الأشعث الذي يغزوه البياض باستحياء تاركًا بعض الشعر الأسود، وقال:

- لن تطير القراءة، هيا بنا لنرى الشيء الغريب الذي لن يطير أيضًا.

اتجه معي إلى الحجرة... دلفنا ووقف جدي أمام اللوحة، فقلت:

- ألا تلاحظ شيئًا؟

صمت قليلًا وهو ينظر لها، ثم قال:

- كيف ألحظ أي شيء وأنا لا أعلم ما الذي تقصده؟! ربما ما أراه غريب أن يكون مقصودًا منك، ولكن اللوحة تبدو رائعة.

أشرت على اللوحة وقلت:

- ألا ترى ذلك الوجه؟

حدّق جدي باللوحة أكثر، وبعد صمت قليل قال:

- يبدو كوجه

قلت وأنا أبرم شفتيّ:

- شيء غريب لم أكن أقصده.

- ليس غريبًا! إنها الباريدوليا.

نظرت له وقلت بمرح:

- وما هي الباريدوليا يا دكتور؟

قال جدي:

- الباريدوليا باختصار شديد هي تفسير الأشياء الغامضة على أنها أشياء معروفة، وتعكس بشكل كبير تفسيرنا لبعض الأشياء والظواهر التي تحدث من حولنا.

امتعض وجهي وقلت:

- جدي، أنا لستُ طبيبًا تناقش معه حالة، اشرح ببساطة.

- ببساطة هي رؤية الوجوه في الأشياء العشوائية، كما رأينا في لوحتك، أو رؤية حصان في الغيوم، ولا تقتصر على رؤية الوجوه فقط، فقد يرى

المسلمون مثلًا كلمة محمد في الغيوم أو في قطعة لحم، ويرى المسيحيون صليبًا في ثمرة طماطم، كل منا يرى ويشكل الأقرب لمعتقداته.

- وهذه الظاهرة حقيقة أم وهم؟

قال جدي مُتعجلًا:

- عمر، الباريدوليا ظاهرة نفسية تشمل أشياء عديدة ولديها تاريخ طويل ومثير للاهتمام، لن يفيدك كثيرًا ما قُلتُ، سأخبرك عنها باستفاضة في وقتٍ لاحق، لأني أحاول الآن أن أنهي مهام الغد؛ لأكون جوارك في الـ"gallery" بدون قيود.

- حسنًا.

- سأصعد الآن أُنهي ما أفعله وأنت استمتع بوقتك.

أومأتُ برأسي وانصرف جدي وعُدت أنا للنظر في لوحتي، تذّكرتُ أنّ جدي لم ير الوجه سوى بعد أن دقق نظره في اللوحة، يبدو أنه لم يلحظه أحد حتى يدقق في اللوحة أكثر وهذا سرني كثيرًا، فربما ستكون لوحة عالمية كلوحة الجيوكاندا لليوناردو دافينشي (الموناليزا) التي تراها تنظر لك من جميع الاتجاهات مع ابتسامتها الغامضة المحيرة، أثارني الفضول لمعرفة هذه الظاهرة باستفاضة؛ فصعدت عند جدي ثانية، طرقت الباب ودلفت... نظر لي جدي منتظرًا ما أقوله، فقلت وأنا أتحسّس ذقني:

- معذرة جدي، هل عندك كتاب أو رواية تتحدث عن هذه الظاهرة؟

نظر لي جدي نظرة أفهمها وقال:

- تريد كتابًا أم رواية؟

قلت مداعبًا:

- أريد رواية، تعرف أنني لستُ مثلك أيها العجوز الشغوف بالعلم.

لطالما تناقشنا سويًا حول هذا الموضوع؛ جدي يفضل العلم وأنا أفضل الفن بأنواعه، بالطبع أؤمن بالعلم، ولكني أرى أن الفن يوصل المعلومة بطريقة شيقة ويبعث في الوجدان الجمال.

نهض جدي دون أن يتكلم ووقف أمام مكتبته يتفقد العناوين، ثم نظر لي بابتسامة لا تخفي شماتته بي وهو يقول ساخرًا:

- حسنًا أيها الباحث عن الجمال مُحب الفن، لم أجد رواية ولا حتى كتاب.

قطبتُ جبيني، في حين أكمل هو:

- ولكن من باب الصدفة العجيبة لي صديق طبيب نفسي أيضًا تستهويه الكتابة، له رواية تتحدث عن هذه الظاهرة، سأهاتفه غدًا بعد أن ننتهي من معرضك نعلم موقعه ونذهب له نأخذ منه نسخة لنقرأها، سيُسر بذلك كثيرًا.

- أيمكن أن تهاتفه الآن؟! وأذهب له بمفردي أجلب منه نسخة وآتي سريعًا.

لم يندهش جدي من إصراري على معرفة هذه الظاهرة؛ فهو يعلم أنه عندما يثير اهتمامي شيء ما لن أهدأ حتى أستكشفه.

أكملت وأنا أنظر له بنظرة رجاء:

- أريد معرفة هذه الظاهرة؛ لأني سأسمي لوحتي بـ اسمها.

رفع جدي رسغه ينظر في ساعته، وقال:

-أتعلم كم الساعة؟ إنها تقترب من التاسعة.

قلت وأنا أومئ برأسي:

- التاسعة! يعني مازالت لم تتعدّ الثانية عشر منتصف الليل، هيا هاتِفه يا جدي... هيا.

أخذ جدي هاتفه من فوق مكتبه مستسلمًا، وقلت وأنا أغادر الغرفة:

- سأذهب إلى دورة المياه أتحمم وأرتدي ملابس أخرى وآتي.

أومأ جدي وهو يضع الهاتف على أذنه وقال:

- حسنًا.

اتجهت إلى غرفتي جلبت ملابس نظيفة غير الملطخة بالألوان، واتجهت إلى الحمّام تحممت سريعًا وصففت شعري الكثيف، وعُدت إلى غرفتي، أخذت الهاتف واتجهت إلى غرفة جدي الذي أعطى لي عنوان صديقه وأخبرني أنه الآن ينتظرني..

استقليت سيارة جدي واتجهت إلى الدكتور فريد في عيادته التي كانت قريبة منا، وصلت في عشر دقائق وركنت السيارة أمام العقار، ودلفت المدخل، ركبت المصعد الكهربائي "الأسانسير" ووقفت أهندم نفسي أمام المرآة، سوّيتُ حاجبيّ ومررت يديّ على شعري وعدّلت ملابسي حتى وقف المصعد في الطابق السادس.. سِرتُ في الطرقة المؤدية إلى العيادة حتى دلفتها.

كان الهدوء مريبًا، يبدو أنه أنهى عمله وكان ينتظرني؛ فلم أجد سكرتيره، حتى رجعت للخلف ودققت الجرس فسمعتُ صوت صرير باب خشبي لغرفة على يميني وهو ينفتح، نظرت نحوها فوجدتُ دكتور فريد يخرج منها بوجه بشوش، أعتقد أنه في عمر جدي في أوائل عقده السادس، قال مبتسمًا:

- مرحبًا أيها الفنان.

ابتسمتُ وقلت:

- وأنا أقول مرحبا أيها الدكتور، أم مرحبًا أيها الكاتب.. أيهما تفضل؟

ضحك قائلًا:

- أحب الاثنين معًا.

- حسنا أيها الكاتب الدكتور.

دعاني إلى الدخول مُرحّبًا، وجذب لي مقعدًا مقابلًا لمكتبه، جلست عليه وأخبرني أنه سيعِدّ لنا كوبين من مشروب ساخن سريعًا ويأتي، لم يترك لي فرصة لأعترض وغادر الغرفة الواسعة التي ظللت أتفقدها وأنا أدور بعيني في أرجاء المكان.. مكتبة بها العديد من الكتب والمجلدات، ومكتبة أخرى بها شرائط تسجيل يبدو أنها قديمة جدًا، وحائط مُعلق به شهادات كثيرة، وكعادة العيادات النفسية الـ "shezlong" وجواره مقعد، كنت أقارن بينها وبين عيادة جدي التي يغلب عليها الطابع الكلاسيكي عكس تلك التي كل ما بها حديث.

جاء دكتور فريد حاملًا قدحًا بكل يد، أعطاني قدحًا وجلس على مقعد أمام مكتبه، تحدثنا ونحن نرتشف بين الفينة والأخرى حتى قال:

- أخبرني سليم أنك رأيت وجهًا في لوحتك، وعندما أخبرَك أنّ تلك ظاهرة تُدعى الباريدوليا أثارت اهتمامك لتعرف عنها المزيد؛ فدلّك على روايتي.

أومأت برأسي وقُلت مبتسمًا:

- أحببت الظاهرة وتشوقت للقراءة عنها، وأن تكون رواية تتحدث عنها فهذا سيكون رائعًا.

- كنت أتمنى أن أرى لوحتك وأرى الوجه الذي رأيته.

- يمكنك أن تحقق تلك الأمنية بسهولة.

- وكيف ذلك؟!

- غدًا أول معرض للوحاتي، سيعرض به ست عشرة لوحة، أدعوك الآن لتشرفني به، سأسر كثيرًا إن جئت.

- سيكون أين ومتى؟

- في ساقية الصاوي قاعة الكلمة، سيبتدأ الرابعة عصرًا بإذن الله.

- سأحاول أن آتي بمشيئة الله.

جذب الرواية التي لم أكن ألاحظها من فوق مكتبه وقال:

- تلك هي الرواية، آمل أن تُعجبك وأتمنى لك قراءة ممتعة.. سأنتظر رأيك.

أخذتها وقلت وأنا أنهض:

- حسنًا سأخبرك بكل شيء بعد الانتهاء من قراءتها بالتأكيد.

- لمَ التعجل؟! اجلس؛ الحديث معك ممتع.

قلت معتذرًا:

- كما أخبرتك أول معرض لي غدًا، وعليّ أن أجهّز لوحاتي وأستعد له.

- حسنًا.. أتمنى لك التوفيق.

قلت ممتنًا:

- أشكرك، وأشكرك أكثر على الرواية.

ابتسم قائلًا:

- لا داعي لذلك... يكفي أنك حفيد سليم.

قلت وأنا أودعه:

- سأنتظرك غدًا

أومأ مبتسمًا، وغادرت لأعود إلى بيتي.

الحادية عشر مساءً

انتهيتُ من إعداد كل شيء للمعرض غدًا، كان يجب عليّ أن أنام ولكن جذبني غلاف الرواية الذي به وجه فتاة على حائط به قشور وأحرف فرعونية وأيقونة الفيس بوك، أشياء غير متناسقة على الإطلاق، ولكنها مرتبة بشكل جيد وجذاب.

فذهبت إلى المطبخ أعددتُ لي فنجانًا من القهوة واتجهتُ إلى غرفة نومي، أضأتُ المصباح وشغّلت موسيقى هادئة... تلك هي طقوسي في القراءة، جلستُ على سريري مستندًا عليه بظهري، فتحت أول صفحة ورحت أقرأ....

*****

كل شيء بالنسبة له لا معنى له؛ يعيش حياة خاصة مستقلة غير أي شخصٍ آخر، هكذا يرى نفسه أنه غير أحد البتة... فاقد الشعور بالوقت وبكل شيء، لكن تلك الحياة تروق له، يعيش وحيدًا بين جدرانه بكتبه وأفكاره..

ها هو الآن نائم على شاطئ من النيل داخل مشتل، مُفترش التراب بجسده غير عابئٍ به يضع ساقًا على الأخرى، ومُمسك بكتاب يقرأه وبعد كل بضع دقائق يقلبه بيده الأخرى حتى شعر بالملل وانتهى من القراءة...

أغلقه ثم اعتدل، واتجه ناحية مياه النيل مباشرة وجلس مُدليًا قدميه جوار كوم قليل من الحجارة كان هو من جمعهم هكذا.. ذلك المكان مكانه المُفضَل لا أحد له علاقة به، يعرفه فضلًا عن عم صابر "مالك هذا المشتل" وضع مرفقه وراء ظهره مرتكزًا به على الأرض وأخذ يقذف الحجارة في الماء مستمتعًا بذلك، رغم أنه في أواخر عقده الثالث إلا أنه يسعَد وهو يرى الحجر يرتطِم بالماء ويرفع بعض القطرات لأعلى، وأحيانًا كان يلقي الحجر باحترافية

يجعله يقفز فوق الماء مرة أو مرتان ثم يغوص بعد ذلك في الأعماق، قذف آخر حجر كان بجواره في الماء في فتور، ونهض يمط ذراعيه وهو يتثاءب في ملل، نفض فارس ملابسه وأخذ الكتاب وعاد إلى بيته يعيش منعزلًا عن أهله رغم أنه لم يتزوج بعد، ولكنه يذهب إليهم كلما أراد.

*****

دخلت عالية حجرتها وهي تحمل صينية فوقها كوبين من العصير لها ولصديقتها مروة، وصحنين بهما بعض المكسرات، وضعتهم أمام مروة الجالسة فوق السرير وجلست قبالتها متربعة وهي تقول باستفهام:

- تأخرت؟!

قالت مروة وهي تأخذ حبة فول سوداني:

- ليس كثيرًا.

فقالت عالية:

- حسنًا أكملي.

- لا شيء، أمي فقط تشعرني أن فرحتها متوقفة على زواجي، وحاليًا تضغط عليّ بسلاح إن عشتُ لكِ اليوم لن أعيش لكِ غدًا.. تلك الجملة ترعبني يا عالية، وأرى من الأساس أن ستًا وعشرين عامًا دون زواج أمر طبيعي جدًا.

- أخبري أمك أن لا تتعجل وتعتبر مني ماذا فعلت أنا بالزواج، لا شيء تغير سوى لقبي من آنسة لمتزوجة لمطلقة.

قالت ذلك وتحولت لهجتها إلى غضب وهي تردف:

- وأنت لا تتدلّلين على من يتقدم لخطبتك، ربما يكون هو الذي تريدينه وأنتِ لا تعرفين، اطلبي رؤيته مرة أخرى، ليس من المرة الأولى تقولين لا.

فقالت مروة:

- مَن أريده سأعرفه من أول لقاء، سيكون شخصًا استثنائيًا.

رفعت عالية كفيها كأنها تدعو وقالت:

- يا الله، أرسل لها هذا الشخص الاستثنائي الذي لا تعرف صفاته من الأساس.

قالت الأخيرة مداعبة، فقالت مروة:

- أنتِ كذلك، أما أنا أعرف ماذا أريده تمامًا.

فقالت عالية وهي تضع يدها تحت ذقنها:

- ما الذي تريدينه تمامًا؟!

قالت مروة بنظرة حالمة:

- أما عني يا عزيزتي فقليل من الحب لا يرضيني، والحب التقليدي لا يغريني! أن أقع في حب أحدهم ليس سهلًا، بل أعقد من الكيمياء والماسونية، أتعلمين أن كلمة أحبك في جواب غرامي بنظري تعادل مائة من سماعها؟ وأن النظر مطولًا في عيناي أبلغ من مائة كلمة أشتاق إليكِ؟ وركوب الخيل أفضل من عشاء رومانسي على أضواء الشموع؟ وأن كتاب أبحث عنه يأتيني به هدية أجمل من خاتم ذهب، أريد من يتفنن في طريقة حبه لي ويشعرني أنني الأنثى الوحيدة في عالمه وكل العوالم والكواكب والمجرات الأخرى، ويعاملني على أنني شيء مُهدد بالانقراض، ولا يكترث لتفاهتي بل ويشاركني إياها، ولا ينزعج من صوتي عندما أغني له "جباااااار" مثلًا، ولا يمل من تفاصيل يومي المملة حقًا بل يستمع بشغف، فأنا في الحب أكون أو لا أكون.

- حسنًا، هلا انتهيتِ؟!

- تقريبًا، وإن أردت شيئًا جديدًا سأخبركِ بالطبع.

قالت عالية مداعبة:

- أنا يعني لا أريد أن أحبطكِ، ولكن عندما تجدِين هذا الشخص افتحي عيناكِ بقوة لأنك ستكونين تحلمين.

***

فتح فارس باب ثلاجته وقف أمامها بعض الوقت مفكرًا ماذا سيأكل، مط شفتيه في تبرم فقد جاء ليلبي نداء معدته الخاوية التي كانت تصرخ جوعًا ولكن لم يعجبه شيء..

كانت الساعة تخطّت الثانية عشر منتصف الليل؛ فخرج من المطبخ وقف أمام المرآة، مرر يديه واحدة تلو الأخرى على شعره والتقط مفاتيحه، ونزل يسير بلا هدف.. حتى وجد مطعمًا، أخذ لائحة الطعام ودلف داخله، جاءه النادل قال له ما اختاره وجلس منتظرًا إحضاره، دقائق وأحضر النادل له الطعام ووضعه أمامه، تناوله فارس وهو يدور بعينيه في أرجاء المكان الخالي من الرواد تقريبًا؛ نظرًا لتأخر الوقت..

انتهى من تناول طعامه ونهض، وضع يده في جيبه الخلفي... أخرج محفظته ونادى النادل.. جاءه، فقال فارس:

- الحساب؟

قال النادل:

- خمسة وعشرون جنيهًا، وسأله: أحضر لك مشروبًا؟

وضع فارس الحساب على الطاولة وقال مبتسمًا:

- لا، شكرًا.

هكذا كانت حياته؛ قرارات مفاجئة لا روتين لها.

*****

في اليوم التالي صباحًا ذهبت عالية إلى عملها كانت تعمل في أحد المستشفيات الحكومية.. وظيفتها قطع التذاكر للمرضى وتدوين أسمائهم بها.

دخلت حجرتها وجدت زميلها في العمل "محمود"... ألقت عليه التحية وجلست تمارس مهام عملها والضوضاء تُحيطها من كل جانب.

طوابير أمامها كثيرة من المرضى، ودائمًا كل منهم مُتعجل ويظل ينادي عليها وتحدث مشادات كلامية بين المرضى وبعضهم عن أحقية الوقوف في الطابور، وهكذا حتى جاءت الساعة الثانية ظهرًا وانتهى موعد العمل.. أخذت نفسًا عميقا وزفرته ببطء في راحة كأن سقط حمل ثقيل من فوق كاهليها.. عقدت ذراعيها أمامها على المكتب ودفنت رأسها بهم ؛لتستريح ولو قليلًا من الصداع الذي يضج برأسها الآن، فقال محمود:

- صحيح، أستاذة منال جاءت تسأل عنكِ قبل أن تحضري، قالت إنها تريدك في أمرٍ هام، وقالت أنها ستأتي ثانيًا بعد انتهاء العمل.

رفعت رأسها وقالت:

- ألا تعرف ماذا تُريد؟

- لا، هي فقط قالت إنها تريدك في أمرٍ هام.

جاءت منال... طرقت الباب طرقتين وفتحته، ودخلت وهي تقول مبتهجة:

- عالية، عندي لكِ عريس.

ابتسمت عالية وقالت:

- من هو؟

- اسمه عادل السيد... مدير في شركة خاصة.

قبل أن تُكمِل حديثها شعر محمود بالملل ووجد وجوده لا جدوى منه، فقام واستأذن منهم وغادر.

فأكملت منال:

- زوجته توفيت مُنذ عام ويبحث عن زوجة تصونه وتربي له أبناءه.

امتعض وجه عالية وقالت:

- أبناءه! كم عمره؟ وكم عدد أبناءه؟

- عنده أربعة أبناء، ويبلغ من العمر ٤٥ عام.

قالت عالية بحزن:

- إنه غير مناسب من جميع الجِهات.

قالت منال وهي تهم بالمغادرة:

- راجعي نفسك قبل أن تتخذي أي قرار.

نظرت لها قبل أن تُغادر من باب الغرفة، وقالت وهي تشير لها بسبابتها:

- وتذكري أن ظروفك تختلف عن غيرك.

ابتلعت عالية ريقها وأومأت برأسها متفهمة بابتسامة باهتة.

*****

فتح فارس عينيه بصعوبة وهو يهرش في رأسه؛ فقد كان باب شقته يُطرق.. قام ليفتحه فوجد حسن صديقه، فقال بصوت ناعس:

- أُذكرك للمرة الألف أنك معك نسخة من مفتاح الشقة.

قال ذلك ومشي في اتجاه الحمام؛ ليتوضأ ويغسل وجهه ويستفيق.

ضحك حسن وقال وهو يدلف:

- لن أستخدمه إلا إذا لزم الأمر، واستطرد مداعبًا: فلنفترض أنني دخلت عليك وأنت في وضع مُخل ما موقفي حينها؟

خرج فارس وهو يجفف وجهه بالمنشفة، ورد المداعبة قائلًا:

- عندي في المطبخ سكينتين، لن يحدث شيئًا إذا خسِرتُ واحدة ووضعتها في صدرك؛ سري لابد أن يدفن معك.

قال ذلك وجلس جوار حسن على الأريكة.

ضحك حسن وقال:

- ألا ترى أن جلوسك في البيت دون عمل قد طال؟

قال فارس وهو يعبث بذقنه:

- عشرة أيام ليسوا كثيرين، ولكن أخبرني بالعرض الذي معك علّه يناسبني.

- وكيف عرفت أني معي لك عرضًا للعمل؟

مط فارس شفتيه، وقال واثقًا:

- طالما ابتدأت حديثك بذلك الموضوع بالتأكيد يوجد لديك عرض ككل مرة.

- حسنًا، العرض هو عمل في محل عطارة بالحسين ليس بعيدًا، ستركب مترو الأنفاق وعربة أخرى خمس دقائق فقط.

- وما التفاصيل؟

- يبتدأ العمل من العاشرة صباحًا وينتهي السابعة مساءً، والمرتب ألفان جنيه ونصف.

أومأ فارس برأسه وقال:

- سأفكر.

رأى حسن مربعًا مرسومًا على الحائط، فأشار عليه وقال:

- ما هذا؟

قال فارس مبتسمًا:

- إطار صورة، ألا ترى تلك الفتاة التي بداخله؟!

- أنا لا أرى سوى التشويه أما زلت تراه وجه فتاة حزينة؟!

- دقق النظر داخل الإطار وستراها.

قال حسن:

- لن تتغير نظرتي، إنه تشويه بالجدار، واستطرد: توضأتَ لكي نصلي الظهر معًا؟! فقد اقترب أذان العصر.

اتجه فارس نحو المصلى، أخذها فرشها تجاه القِبلة وقال:

- أجل، انهض لنصلي.

*****

استغلت عالية اجتماع أبويها وشقيقها سامح الذي كان في المرحلة الثانوية على الغداء، تلك هي أسرتها كُلها، وقالت وهي ممسكة بالملعقة:

- أستاذة منال أحضرت لي عريسًا اليوم.

ابتسمت سناء والدتها وقالت:

- خبر رائع، أكملي.

بينما أصغى والدها وسامح في اهتمام، فقالت عالية:

- ولكني لا أراه مناسبًا، أحببت أن أخبركم فقط.

تلاشت ابتسامة سناء وقالت:

- لماذا يا بنيتي؟

قالت عالية وهي تأكل دون اهتمام:

- عمره خمسة وأربعون عامًا، ولديه أربعة أبناء وزوجته متوفية، إنه يريد مُربية وخادمة لأبنائه ليس أكثر، أليس كذلك؟!

قال سامح:

- نعم، لا توافقين، قولي لمن جلبته تبحث له عن أخرى.

قاطعته سناء وقالت:

- دعها تفكر يا سامح، لا تأخذ الأمور دائمًا بحساسية هكذا.

قال عزت والدها:

- لا تأخذي أنتِ الأمور هكذا، لماذا تفكر وهي لا تراه مناسبًا؟ عالية ابنتك جميلة وصغيرة وستأتي لها فرص كثيرة، ليس عيبًا أن تكون مُطلقة، هي ليست معها أبناء، ذلك الرجل لا يناسبها.

اقتنعت سناء بكلامهم وآثرت الصمت.

*****

مرت خمسة أيام... كانت الساعة السابعة مساءً، خلع فارس زي العمل ولبس قميصه وغادر، بينما هو سائر في حي الحسين وجد مولِدًا يقيمه الصوفيون والدراويش، أعجبته الأجواء فجلس على مقهى قبالة المولِد ليشاهد، ومر الوقت دون أن يشعر بمروره حتى دق هاتفه، كانت المتصلة أمه، نهض من مكانه وسار قليلًا حتى ابتعد عن الضوضاء وفتح المكالمة قائلًا:

- مرحبًا بسيدة العالم.

تجاهلت أمه ما قال، وقالت بعتاب:

- لماذا لم تأتِ كما قُلت؟ أنا في انتظارك ولم أتناول أي طعام منذ الرابعة عصرًا لآكل معك.

عقد حاجبيه وخبط بيده الأخرى على جبينه، وقال بأسف:

- اعذريني يا أمي، لقد التهيت بالمولِد ونسيت الموعد، ولكني سآتي الآن، ساعة على الأكثر وسأكون عندك.

- لا تتأخر عن ذلك.

- حاضر، إن شاء الله.

- وداعًا.

- وداعًا.

أغلق الهاتف ودفع حساب مشروباته ونهض، ابتاع لأمه وأبيه وشقيقه بعض الحلوى من المولد، بعدما خرج من المولد وجد محلًا يبيع آثار فرعونية مُقلَّدة، فتلك منطقة سياحية، يعلم أن أخيه الصغير مهتم بالآثار الفرعونية كثيرًا وعلم المصريات شغوفًا بهم ويجمع كل ما يلقاه من أشياء مثل ذلك، فابتاع له ميدالية وتمثال صغير.

*****

طرق فارس باب بيته، سمعت أمه طرقته المُميزة فقامت من مجلسها وهي تقول:

- جاء فارس.

اتجهت إلى الباب لتفتحه، دلف فارس... سلّم عليها وقبّل يدها واتجه إلى أبيه الذي يشاهد التلفاز، سلم عليه هو الآخر وجلس جواره وأعطى الأكياس التي في يده لأمه وقال:

- أين شادي؟

قالت أمينة أمه:

- في حجرته، أمام الحاسوب ليل ونهار، واستطردت: خمس دقائق سأحضر الطعام لنأكل أنا وأنت.. أبوك وأخوك قد سبقونا.

قال فارس:

- في انتظارك، لقد افتقدت طعامك كثيرًا.

دلفت أمه المطبخ، ونهض فارس ليدلف عند أخيه شادي، فأمسكه رؤف أبيه من رسغه وقال:

- اجلس يا فارس أريد التحدث معك.

- جلبتُ لشادي أشياء يُحبها، سأذهب أعطيها له وبعد تناول العَشاء سنتحدث، سأبيت هنا وليلتنا طويلة لا تقلق.

أومأ والده وقال:

- حسنًا.

فتح فارس باب حجرة أخيه، فنظر شادي تجاه مزلاج الباب وهو ينفتح، وجد فارس فقال مسرورًا:

- فارس كيف حالك؟

جلس فارس بجواره وقال:

- بخير وأنت؟

- بخير، ألا تعلم؛ لقد قدمتُ بحثًا لمدرستي عن التحنيط عند الفراعنة، وأخذتُ شهادة تقدير وتكرَّمت في طابور الصباح.

رفع فارس حاجبيه بإعجاب، وقال وهو يومئ برأسه:

- رائع.

وأخرج من جيبه ما جلبه، أمسك الميدالية في يد والتمثال في الأخرى ورفعهم أمامه، وقال:

- إذن ما رأيك في ذلك؟

أخذهم شادي من يده في لهفة وطبع قبلة على وجنة فارس، وقال مسرورًا:

- أحلى ما حدث لي اليوم.

وقام ليضعهم في درج مكتبه بجوار تُحفه الأخرى، فقال فارس وهو جالس مستندًا بمرفقيه على السرير وينظر له:

- لماذا لا تجلس مع أمك تتحدث معها وتحدثك؟ قالت لي أنك ليل ونهار أمام الحاسوب، لا أفرض عليك الأمر، ولكن أبوك يكون في عمله، وشهد قد تزوجت، وأنا لست معكم.. ستملّ أمك من ذلك، اجلس معها ولو ساعة واحدة في اليوم عندما يكون أبوك في عمله.

- أمك تهوّل الأمر، نعم أجلس أمام الحاسوب، ولكن ليس طوال اليوم، وبعض جلوسي يكون مذاكرة وأبحاث وهي لا تعترف بذلك، تظن أن الجلوس أمامه للّهو فقط، أخبرها بذلك يا فارس فهي تقتنع بآرائك.

- حسنًا، ولكن اجلس معها، لن تطير المذاكرة والأبحاث واللعب إذا تركتهم ساعة لإرضائها.

أومأ شادي برأسه، وقطعت حديثهم أمينة وهي تقول:

- هيا يا فارس لقد حضّرتُ الطعام.

بعدما انتهوا من تناول الطعام جاءت أمينة تحمل صينية عليها طبق فاكهة وطبق آخر للحلوى التي جلبها فارس، وضعت الصينية على الطاولة أمام فارس ورؤوف، وجلست بجوارهم وقالت:

- ما شأن المولد والحلوى هذه؟ هوايات جديدة أم ماذا؟

قال فارس:

- لا، ليس كذلك، عملي الجديد في الحُسين، وصادفني المولد فجلستُ أُشاهد وأعجبتني تلك الحلوى فجلبتها لكم.

خرج رؤوف عن صمته وقال:

- لماذا لا تستمر في عملٍ واحدٍ وتعيش معنا كبقية الخلق، ألن تكفّ عن ذلك الجنون؟

قال فارس بهدوء:

- يا أبي، قُلت لك مرارًا أني لست كبقية الخلق وأكره الروتين كثيرًا، وإن كنت ترى ذلك جنونًا فأنا مرتاح بجنوني هكذا.

قالت أمينة:

- على الأقل عِش معنا ولا تستمر في عملٍ واحدٍ كما تُريد.

قال فارس مغيرًا دفة الحديث:

- كيف حال شهد؟

قالت أمينة وهي مغلوبة على أمرها:

- ستظل كما أنت يا فارس ولن تتغير، واستطردت: شهد بخير ينقصها رؤيتك.

- سأذهب لها غدًا إن شاء الله.

قال رؤف بقلة حيلة هو الآخر:

- ما نوع عملك الجديد؟

قالت أمينة:

- صحيح ما نوع العمل؟

- أعمل في محل عطارة كبير في الحسين، العمل مريح والمكان ساحر ولكن لن أستمر فيه طويلًا؛ لأني كما قُلت لكم أكره الروتين.

*****

- حتى أمي كانت مُعترضة على خروجي اليوم، وقالت لي طالما أن اليوم أجازة لا تخرجي، لولا أن أبي تدخل وسمح لي بالخروج، أتعرفي لماذا كانت لا تريدني أن أخرج؟ لأني مُطلقة، وهي تخاف من أحاديث الناس كثيرًا، لقد تعبتُ

يا مروة... لم يعد بوسعي تحمل كل ذلك، أنا أبكي كل ليلة بالساعات ولا أحد يشعر بي، كلمة مُطلقة أصبحت لعنة تطاردني.

قالتها عالية وهي جالسة قبالة مروة في أحد المطاعم.

قالت مروة بحزن:

- عالية، لا تفكري في تلك الأمور مُطلقًا، كما قُلتِي لا أحد يشعر بكِ؟ لماذا تفعلين ذلك بنفسك؟ أتظنين أنني أنا الأخرى لا تطُولني أحاديث الناس ولا نظراتهم المريبة والمشفقة، إحداهم عندما تراني تقول متى سنفرح بكِ؟ وإحداهم تقول لماذا لم تتزوجِي حتى الآن؟ وتمصمص شفتيها، وأخرى تقول إنني لم أتزوج إلا من رجل كبير في السن أو سبق له الزواج، وكأني تخطيت الخمسين عامًا، ولكني لا أسمع لهم ولا أهتم بتلك الثرثرة الفارغة.

قالت عالية وهي عاقدة حاجبيها بحزن:

- ليتني مثلك أعرف أن لا أهتم.

- بيدكِ أن لا تهتمي، كنت مثلك، وأقل كلمة كانت تؤثر فيّ وأظل أفكر بها، ولكن سيمازا من دون قصد هي من جعلتني هكذا؛ كانت لا تحسب للناس حسابًا في أي شيء، قُلت ولمّ لا أكون كذلك؟!

- سيمازا! من سيمازا؟ هل ذلك اسمها؟

- إنه لقبها، كانت صديقتي في الجامعة، وبعد التخرج قلّت مقابلاتنا ومهاتفتنا، تلك التي حضرتُ عُرسها منذ فترة قليلة عندما أخبرتك، سوف آخذك معي مرة ما ونذهب لها ونقضي معها بعض الوقت، لقد اشتقتُ لجلوسي معها كثيرًا، إنها شخصية فريدة وجميلة ستحبينها.

لوَت عالية شفتيها، وقالت بابتسامة باهتة:

- لقد كرهتُ كل الناس وأصبحت لا أثق في أحد، كل ما أريده أن أنعزل عن هذا العالم الغبي.

- لا تكوني سلبية هكذا، ما رأيك أن تحضري محاضرة تنمية بشرية تجعلك تستعيدين ثقتك بنفسك وبمن حولك ؛لعلها تغير مزاجك قليلًا.

- أين تلك المُحاضرة؟

قالت مروة:

- قرأتُ عنها في مناسبة على "الفيس بوك" سيُلقيها مُدرِب شهير، ولكني نسيت العنوان، سأراه اليوم وأرسل لكِ بقية التفاصيل في رسالة.

أومأت عالية برأسها في استسلام.

*****

كان فارس في صالة شقته ممددًا على الأريكة مرتديًا سروالًا قصيرًا وسترة ويقرأ رواية بوليسية ومندمج معها، قطع تركيزه صوت أحدٍ يطرق باب الشقة، ظنّه حسن صديقه؛ فقال بصوت مرتفع وهو في مكانه لكي يسمع الطارق:

- لن أفتح؛ معك مفتاح.. كفاك كسل، أخرجه وافتح الباب.

جاءه صوت لغريبٍ من خلف الباب:

- ليس معي مفاتيح.

عقد فارس حاجبيه، وقال بصوت منخفض بابتسامة جانبية:

- إنه ليس حسن.

فقام وهو ممسك بالكتاب وفتح الباب، وجد مُحَصِل الكهرباء، ضحك فارس وقال:

- معذرة، ظننتك صديقي.

أخذ الفاتورة ودفع له المال، أخذه المحصل وغادر، فأغلق فارس الباب خلفه وعاد إلى الأريكة مرة أخرى بنفس النومة وفتح الرواية يُكمل قراءتها، دقائق ودق الباب ثانية، فقام تلك المرة علّه شخص غريب كالمرة السابقة،

وَجَدَهُ حسن فقال:

- ادخل، لقد جعلتني أقول لمُحّصِل الكهرباء قبل قليل كفاك كسلًا وأخرج المفتاح وأفتح الباب، كنت أظنه أنت.

دلف حسن وهو يضحك، ثم قطع ضحكه اسم الكتاب الذي رآه في يد فارس، عندما رأى الاسم نظر له باستغراب وقال:

- ماذا! تنمية بشرية، أخيرًا اقتنعت بها.

ضحك فارس وقال:

- أنت تُصدق عني ذلك! واستطرد: تلك رواية لكاتب غربي اسمها السر، يتشابه ذلك الاسم مع اسم كتاب تنمية بشرية، أليس كذلك؟

- أجل، إنه اسم لكتاب شهير في التنمية البشرية للمدرب الكبير إبراهيم الفقي رحمه الله.

- لا أعلم لماذا تحبها؟ أنا أرى أنها كلام فارغ لا يفيد، ويمكن لأي شخص أن يقوله.

جلس حسن على مقعد قريب منه، وقال واثقًا:

- بل العكس، أنا أرى أنها تؤثر في الأشخاص والمجتمع.

- وجهات نظر لا أكثر.

قالها فارس وهو متجه إلى المطبخ، أعد كوبين من الشاي ورجع، وجد حسن واقف ينظر داخل الإطار المدون على الحائط، وضع فارس الصينية على الطاولة ووقف جوار حسن، وأشار على الحائط وهو يقول:

- هذه عينيها الحزينتين، وهذا أنفها، وهذا فمها.

نظر له حسن وقال مداعبًا:

- أنت مُصاب بالجنون يا فارس، لابد أن تعرف ذلك.

جلس فارس وناوله كوب الشاي وهو يقول:

- لا تتحدث عن الجنون وأنت تقرأ في التنمية البشرية، بل وتحضر محاضرات لها.

جلس حسن وهو يرتشف من كوب الشاي، وقال:

- ما رأيك أن تحضُر محاضرة تنمية ثم بعد ذلك تحكم عليها، ولكن الشرط الوحيد أن تستمع للمحاضرة لآخر دقيقة، لا تتركها قبل نصف الوقت؛ لأني على يقين أنك ستمِل من أول المحاضرة وتغادر.

- وإن أكملتها كُلها؟!

- لك مني ما تشاء.

- إذن متى سنذهب؟

- توجد محاضرة لمدرب شهير في مركز تبارك يوم الجمعة القادمة الساعة الرابعة عصرًا، ولكني سأكون مشغول. واستطرد ضاحكًا: أحضرها أنت واشرحها لي، ولكن إذا خرجت قبل أن ينتهي الوقت لي أنا منك ما أشاء.

قال فارس واثقا:

- اتفقنا.

كان يحب التحديات كثيرًا، حتى ولو في شيء يكرهه طالما أنه تحدي فسيقبله، لذلك قَبِلَ التحدي.

*****

أدَّت عالية فريضة العشاء... أطبقت المُصَلية وجلست على سريرها مستعدة للنوم، فتذكرت أن تفتح موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"؛ لترى عنوان المحاضرة التي قالت لها عنها مروة،

عندما أمسكت هاتفها وفتحت الفيس بوك اعتلت شفتيها نصف ابتسامة بعدما قرأت رسالة من صديقة لها يتحدثون على فترات متباعدة، محتوى الرسالة كان "ما الجديد؟ "

تنهدت باستسلام وكتبت:

"ما الجديد؟! يوم يمر تلو الآخر وكل يوم يشبه البارحة ولا جديد، روتين قاتل، فراغ موحش، حزن دائم، ابتسامة زائفة، أهرب من اللاشيء إلى النوم؛ لأعود مجددًا لما هربت منه، هكذا هي حياتي، شعارها يبقى الوضع على ما هو عليه"

خرجت من مربع المحادثة وفتحت محادثة مروة، حفظت العنوان وأغلقت الهاتف ووضعته جوارها على الكومودينو وجذبت غطاء عليها ونامت.

*****

"انتظري... لا تغادري الغرفة، سأريكِ ما جلبه لي فارس وما جمعته"

قالها شادي محدثًا ريماس جارته وهو ذاهب إلى مكتبه بعد انتهاء درسهم الخصوصي؛ فهي معه في ذات الصف الثاني الإعدادي، ويأخذون الدروس الخصوصية معًا.

وقفت ريماس مكانها وقالت برقة:

- مُنتظِرة.

أخرج شادي تحفه ورصَّهم فوق المكتب، ومسك ما جلبهم له فارس وقال:

- انظري هذان ما جلبهم لي فارس، إنهم رائعين لأقصى درجة، سأجعله المرة القادمة يجلب لي سلسلة مدون بها اسمي بالهيروغليفية. واستطرد وهو يعطيها تمثالًا لتراه: أغلى شيء عندي ذلك التمثال.

أمسكته ريماس وقالت وهي تنظر للتمثال بانبهار:
- إنه رائع حقًا، ولكن ما سِر حبك لتلك الأشياء بهذه الدرجة.
قال شادي بالإنكليزية:

- It's my passion

وأكمل بالعربية:

- وجدتني أحبهم عندما قرأت كتاب آلهة مصر للكاتب فرانسوا ديماس من كُتب أخي فارس منذ عامين، إنه كتاب رائع وشيق للغاية، وإلى الآن وأنا أجد نفسي أحب القراءة عن الفراعنة بالخصوص، أجد بها متعة وأنا أقرأ عن عظمة أجدادي وأجمع تلك الأشياء بشغف، حتى معظم وقتي على الحاسوب للمعلومات عنهم، وعرفت جميع الأُسَر وكيف بنوا الأهرامات وكيف كانوا يحنطون الموتى وما هي لعنة الفراعنة.

كانت ريماس تنظر له بإعجاب وهو يتحدث مثل الكبار، هي لا تعرف كل ما يتكلم عنه، ولكن ثقافته أعجبتها، فقاطعته وقالت:
- أنت تتكلم مثل أبي، إنه يعلم كل شيء مثلك.
ضحك شادي بسعادة وقال:
- أنا ما زالت لا أعلم شيئًا، عالم الفراعنة بحر لم أبلغ فيه نقطة، ولكن أعدك أني سأحاول أن أكون مُلِمًا بكل شيء.. أتعلمين ما طموحي؟!
حثته ريماس علي أن يقول، فقالت:
- ما هو؟
- أن أصبح وزيرًا للآثار، سأجعل السُياح يتوافدون إلى مصر أفواجًا أفواجًا. واستطرد :وأنتِ ما طموحك؟

قالت ريماس وهي تداعب خصلات شعرها:

- لا أعلم، ولكني أحب شراء الملابس والزينة.

تضايق شادي وقال:

- ما هذه التفاهة؟ لابد أن يكون لكِ هدف حتى تسعي إليه، بدون هدف لن تكون لحياتك معنى.

عقدت ريماس حاجبيها، وزمت شفتيها وقالت:

- ليست تفاهة، أنا أعلم أشياء أنت لا تعلمها.. لا تظن أنك أنت الوحيد الذي يعرف كل شيء.

عقد شادي ذراعيه أمام صدره، وقال بغرور:

- وما الذي تعلميه وأنا لا أعلمه، بالتأكيد علامات الملابس العالمية، أليس كذلك؟

- ريماس.

قطعت مشاجرتهم أمينة بتلك المناداة وهي خارج الحجرة.

قالت ريماس:

- نعم؟

- والدتك تريدك.

مشت ريماس بخطى سريعة وتركت شادي واقفًا مكانه، نظر لها بضيق وهو يزم شفتيه حتى غادرت باب الشقة وأغلقته وراءها بعنف؛ فقال شادي وهو مازال ينظر تجاه الباب:

- أقول لها أريد أن أصبح وزير الآثار وهي تقول أحب شراء الملابس والزينة، لقد أحببتُ بلهاء.

كان شادي برغم سنه الصغير إلا أنه ذو عقلية عبقرية موهبة وهبها له الله واستغلها هو بكثرة القراءة والاطلاع والأبحاث، كان فارس من لاحظ نبوغه فجعله يقرأ من كتبه، عرّفه فارس أن القراءة شيء عظيم عندما قال له:

- أتعلم ما أول كلمة نزلت على نبينا محمد؟ كلمة "اقرأ"؛ لذلك احرص على أن تكون قارئًا اقتداءً بقول ربك.

*****

ذهبت عالية إلى العنوان الذي أعطته لها مروة بعد مشاجرة مع والدتها كالعادة على أمر الخروج من المنزل في يوم عُطلتها بعدما ظلت تقنعها ؛فذهبت متأخرة بعض الشيء..

لذلك دلفت المحاضرة متأخرة، ودخولها المتأخر بعد أن حَضر الجميع جعلها مَحط أنظارهم، سارت أمامهم على استحياء ولم تلتفت إلى أحد وجلست على أحد المقاعد الفارغة..

عندما رآها فارس كسَت الدهشة ملامحه وعقد حاجبيه استغرابًا.. إنها تشبه فتاة الجدار كثيرًا؛

نفس العينين الحزينتين، لا يعلم هي تشبهها حقًا أم أنه يخيل له؛ لأن الحزن يطُل من عينيها كفتاة الجدار.

*****

جلست عالية وأخرجت من حقيبتها أجندة صغيرة وقلمًا لعلها تحتاج أن تدون بعض النقاط الهامة، كانت أول مرة تحضر محاضرة بعد أن أنهت دراستها الجامعية، والمرة الأولى أيضًا تحضر محاضرة في ذلك المجال الذي أصبح يهتم به الكثير في هذا العصر، ظلت مُنصته حتى شعرت بالملل؛ فنظرت حولها بعشوائية رأت ذلك الغريب ينظر لها بعينين شاخصتين، أشاحت وجهها وعادت بنظرها إلى الأستاذ الذي يشرح لهم المحاضرة.

ولكن في غير تركيز لاح في ذهنها ذاك الذي ينظر لها بتمعن، هل يقصدها أم أنها نظرة عابرة؟

نظرت بطرف عينيها وجدته مُحملِق لها، فنظرت له كي يعرف أنها تراه ويستحي، فلم يستحِ وظل ناظرًا لها، قلبت شفتيها السفلى في تعجُب وأعادت النظر أمامها ثانية، ثم بعد قليل نظرت له ثالثًا رأته على ذات الوضع الذي كان عليه قبل قليل "ما هذا المختل؟! ألم يستحِ؟! " تلك الجملة هتفت بها في تفكيرها وهي تنوي ألا تنظر له مرة أخرى، يبدو أنه غير سوي على أي حال، فكر فارس في مرح وهو يتمعن فيها وابتسامة تسلية ترتسم على شفتيه أن صداقته بحسن مفيدة على كل الأحوال، انتبه لما ترتديه؛ فستان طويل محتشم وحجاب رقيق يخفي خصلاتها ليعود بنظره إلى عينيها الحزينتين ووجهها الخالي من مساحيق التجميل.

وبعد انتهاء المحاضرة، بينما هي تغادر أوقفها فارس ؛فقالت:

- ماذا تريد؟!

- أريد أن أخبرك أن عيناكِ جميلتان للغاية.

أشارت بأحد يديها جوار أذنها وقالت:

- هل أنت مجنون؟!

- هذا ما يقوله الكثير، ولكن أنا لا أرى ذلك.. ما الجنون في أن أقول ما جاء في ذهني أو أن أفعل ما يحلو لي؟!

- بالطبع هذا جنون، كل من قال لك ذلك فهو محق، ليس كل ما يجول في ذهنك أو خاطرك يحكى، هيا ابتعد عني ولا تعترض طريقي ثانيًا.

تجاهل فارس ما قالته وقال:

- أجبي عن ذلك السؤال وسأتركك كما تريدين.

قبل أن تعطيه الموافقة عن السؤال أكمل:

- ما الذي يعجبك في محاضرات التنمية البشرية؟ المحاضرة كانت مُملة لأبعد حد، ما الذي جعلكِ تتحملين ذلك الكم من الملل، أكنتِ تعاقبين نفسك مثلا؟!

- تسطيع أنت أن تُجيب على نفسك، أعتقد أنني كنت لست وحدي داخل المحاضرة.

ضحك فارس وقال:

- أتعتقدين أنني ممن يحضرون تلك المحاضرات ويرون مستقبلهم مشرق وهكذا! ، أكثر ما أكرهه في حياتي هي التنمية البشرية، وتراهن صديق لي على أن أحضر محاضرة تنمية بشرية كاملة ولا أتركها قبل أن ينتهي الوقت، وإن حضرتها كاملة سأكون الفائز، وإن خرجت قبل أن ينتهي الوقت سيكون هو الفائز، والحقيقة أود أن أشكرك لأنكِ السبب في فوزي بالرهان، لو لم تكونِ موجودة كنت سأخسره لا محالة؟

- وكيف أنا السبب؟!

- طوال المحاضرة كنت أنظر لكِ، أظن أنكِ لاحظتي ذلك، لو لم تكونِ موجودة كنت لا أتحمل عشرة دقائق من الإنصات، النظر لكِ صراحة متعة، وعندما أعود إلى صديقي سأشكره هو الآخر؛ لأنه سبب في أن أراكِ.

- ما هذه الجراءة التي تتكلم بها؟! يبدو أنك مجنون حقًا.

- هل النظر في عينيكِ جريمة يعاقب عليها القانون أو شرك بالله؟!

- بالطبع لا.

- إذن لماذا أنتِ مستاءة الآن؟

- قبل أن أغادر أود أن أخبرك أنك أغرب إنسان رأيته في حياتي.

قالت ذلك وغادرت وتركته واقفًا مكانه.

بعد أن ابتعدت عنه بأمتار قليلة، قال فارس بصوت مرتفع بعض الشيء:

- أود أن أخبرك أنا الآخر بشيء.

أبطأت خطواتها، في حين أكمل هو:

- إنكِ إن ذهبتي الآن دون أن تأخذي رقم هاتفي أو أي طريقة للتواصل بيننا، ستظلي تندمين طوال حياتك، حتى من الممكن أن تبحثي عني في وجوه الناس، هذا الكلام ليس هراء بل عن ثقة شديدة.

توقفت عالية عن السير والْتفتت له وقالت:

- لن أندم لحظة، وجنونك هذا لا يغريني مِلّي واحد.

تقدم إليها مباشرة وقال:

- متأكدة من ذلك؟!

- متأكدة مائة بالمائة.

- ولكن أنا لست متأكدًا.

- لماذا؟

- لأن عيناكِ تقولان غير ذلك، وأنا أفهم لغة العيون جيدًا. واستطرد: ماذا يحدث إن أعطيتني رقم هاتفك الآن؟! بالطبع لن يحدث شيء، هيا أعطني الرقم.

وقفت عالية مترددة بعض الشيء، ثم حسمت أمرها وغادرت من أمامه، بينما ظل هو يتأمل طيفها بابتسامة متوعدة، ثم ضرب الأرض بقدمه في ضيق وغادر.

*****

اتجه فارس إلى حسن في عمله، كان حسن صيدليًا، دلف الصيدلية فوجد حسن يصرف أدوية لمشترٍ، وقف صامتًا حتى أنهى معه، فقال حسن:

- أراك مستاءً، يبدو أنك خسِرت الرهان وسأطلب منك ما أريده الآن.

- ليس كذلك حرفيًا.

نظر حسن في ساعته وقال:

- إذن اجلس، ستأتي بعد قليل طلبية أدوية، سأستلمها ثم سيأتي شريف يأخذ مكاني ونذهب سويًا لنرى ماذا حدث.

جلس فارس ووقف حسن يُحضِر الأدوية للمرضى المشترين حتى جاءت الأدوية واستلمها حسن وجاء شريف وغادر الاثنان الصيدلية، بينما هما سائران قال حسن:

- إلى أين؟

- إلى حيث تريد.

- إذن إلى كافيه الحرية.

قال فارس مستسلمًا:

- حسنًا، لن تُصّدِق ماذا حدث معي، أتعرف فتاة الجدار؟ وجدتها في المحاضرة.

ضحك حسن وقال:

- أخبرني أنك تمزح لكي لا أشك في سلامة عقلك أكثر من ذلك.

- لا أمزح، رأيت فتاة تشبهها كثيرًا بالفعل كأنها هي.

- وماذا حدث؟! تكلمت معها؟

- تكلمت معها ولكن لم تعطني فرصة لأي طريقة للتواصل بيننا مرة أخرى، ربما لأني كنت وقحًا معها بعض الشيء.

قال ذلك وأخذ يقص له ما حدث معه.

*****

"أنت غير طبيعي تلك الأيام، أيوجد رحلة مدرسية أو أمرًا ما تريده وتُمَّهِد إليه؟! "

قالتها أمينة محدثة شادي الجالس بجوارها يشاهد التلفاز معها على أحد البرامج الدينية.

ضحك شادي وقال:

- لأني أساعدك في أعمال المنزل وأجلس معكِ بعض الوقت تقولين ذلك، ألهذه الدرجة أصبح الصواب لافتًا للنظر وكأنه شيء غير عادي؟ أم أن الصواب هو ما كنت أفعله عندما كنت أراكِ في أوقات تناول الطعام فقط؟ واستطرد وهو يمط شفتيه: ما عُدت أفهم تلك الدنيا جيدًا.

قالت أمينة مبتسمة:

- يبدو أنك انحرفت عن مسار الفراعنة قليلًا واتجهت إلى الفلسفة أيضًا.

- لا بأس إن تعمقت في الاثنين.

- حسنًا، ولكن حتى الآن لم تخبرنِ ماذا تريد.

- ما زلتِ مُصرة على موقفك هذا؛ أنني أريد شيئًا؟

- إذن أخبرني ما غيرك كذلك؟

- فارس هو من أرشدني، ولكن كان عندي النية إلى ذلك ؛فبعض الأمور عندي تحتاج إلى إعادة نظر، كان ذلك الأمر أولهم.

ابتسمت أمينة، ولكن سرعان ما تقلصت ابتسامتها وقالت واهنة:

- يرشدك إلى ذلك ويتركني هو بالأيام والليالي!

عقد شادي حاجبيه وقال:

- أمي لا تفكري هكذا، فارس ليس صغيرًا ويحتاج إلى حياة خاصة، ليست الحياة الخاصة بالزواج فقط، تلك هي أفكاره. واستطرد غامزًا: لا تلوميه على تربيتك أنتِ.. أنتِ التي ربيتنا تربية مختلفة؛ علمتينا أن نعتمد على أنفسنا وأن نفعل ما يحلو لنا غير مبالين بأقاويل الناس، أليست تلك تربيتك؟!

غيرت أمينة دفة الحديث وقالت:

- أتعلم يا شادي... أنا أفخر بعقليتك غير القاصرة تلك.

ابتسم شادي قائلًا:

- وأنا أفخر أنكِ أمي. واستطرد مداعبًا: هيَّا أعطني مئة جنيه ثمن رحلة مدرسية.

ضحكت أمينة وضمته إلى صدرها وقبّلت رأسه.

*****

استلقت عالية على سريرها وظلت تفكر في ذلك المجنون الغريب الذي قابلته اليوم ولا تعرف حتى اسمه، كانت عيناه محيّرة لم تستشف منهما شيئًا، وعندما قال لها "ستندمين" تذكّرت عندما قالها طليقها لها يومًا، ولكن كانت بنبرة أكثر قسوة وحدة، سريعًا ما نفضت التفكير في طليقها من رأسها وعادت لما تفكر فيه، كثيرًا ما تتعرض لمواقف سخيفة من قِبل الرجال، ولكن ذلك الموقف لم تعتبره سخيفًا! ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة وهو يداعب خيالها في رقة عندما تذكّرت قول ذاك الغريب "هل النظر إلى عينيكِ جريمة يعاقب عليها القانون؟! " كان صوته يهتف في رأسها وهو يقول "إنكِ إن ذهبتِ الآن دون أن تأخذي رقم هاتفي أو أي طريقة للتواصل بيننا ستظلي تندمين طوال حياتك، حتى من الممكن أن تبحثي عني في وجوه الناس" هذا الكلام ليس

هراء بل عن ثقة شديدة.. كانت ثقته في محلها؛ فقد شُعرت بالندم من الآن، كانت تبكي أحيانًا في ذلك الوقت ولكن أصبحت الآن لا تفكر فيما يضايقها وانشغلت في أمرٍ آخر غير البكاء.

*****

كان فارس يُعدّ أشياء لمشترٍ وسمع رنين هاتفه، فأعطاه ما أعده وقال له وهو يشير إلى أحد أصدقائه في العمل:

- معذرة.. اذهب إلى كريم يجلب لك الباقي؛ جاءت لي مكالمة.

أخذ المشتري ما في يده وقال:

- حسنًا لا عليك.

أخرج فارس الهاتف من جيب بنطاله، وجد المتصل شادي، سار قليلًا داخل المحل حتى ابتعد عن الضوضاء وفتح المكالمة قائلًا:

- مرحبا بعالِم الآثار الصغير.

أعجب شادي ذلك الإطراء، فقال مبتسمًا:

- مرحبًا، متى ستأتي عندنا اليوم؟

- لا أعلم إن كنت قد أجيء لكم أم لا.

- لقد أبلغت أمكَ أنك ستأتي، وهي الآن في المطبخ تطهي لك الطعام؛ ستأتي لا مفر.

رفع فارس أحد حاجبيه وقال:

- هذا يعني أنك تضعني أمام الأمر الواقع.

- أجل، ذلك هو مقصدي تمامًا.. أريد منك أمر هام.

- هيَّا أخبرني ماذا تُريد؟

- توجد محلات بجوارك تدون أسماء بالهيروغليفية على السلاسل، فقط تعطيهم الاسم ويدونونه في وقتها، أريد سلسلة مدون عليها اسمي بالهيروغليفية ومن الخلف بالعربية.

- حسنًا، أي خدمة أخرى؟

- أريد سلسلة أخرى بـ اسم ريماس، تلك ضرورية جدًا؛ لا تنسى.

ضحك فارس وقال:

- ريماس! ذلك هو الأمر الهام؟

قال شادي ضاحكًا:

- أجل هو. واستطرد ناهيًا المكالمة: سأنتظرك.

- حسنًا وداعًا.

*****

انتهت عالية من عملها واتجهت إلى موقف السيارات؛ لتستقل حافلة وتعود إلى بيتها،

كلما كان يمر رجلًا من جوارها كانت تنظر في ملامحه تخطف نظرة سريعة دون أن يلاحظها تراه فارس أم لا "ما هذا الذي أفعله؟! " خاطبها تفكيرها بتلك الجملة، كما قال الغريب الذي رأته أنها من الممكن أن تبحث عنه في وجوه الناس، وسريعًا من اليوم الثاني تحققت ثقته، طردت تلك الأفكار من رأسها واستقلت الحافلة التي أمامها.

*****

سمعت أمينة طرقات على الباب علمت أنه فارس، ذهبت إلى الباب فتحته... دلف فارس وهو يميل عليها طبع قبلة على جبينها وقال:

- رائحة الطعام تخترق أنفي منذ أن دلفت العقار.

قالت أمينة مُبتسمة وهي تغلق الباب:

- وستأكل أصابعك وراءه أيضًا.

جلس فارس على الأريكة وقال:

- ذلك يعني أني سأخرج من هنا على التأهيل المهني فورًا.. بدون أصابع وأنف مخترقة.

ضحكت أمينة، وقالت وهي تسير إلى المطبخ:

- بعيد الشر.. سأحضر الطعام ونأكل جميعًا.

سمع شادي أمه تتحدث فعلم أن فارس قد جاء، خرج من حجرته وجد فارس جالسًا معه الريموت يعبث في قنوات التلفاز فقال:

- فارس، متى جئت؟

نظر له فارس قائلًا:

- قبل قليل. واستطرد بخبث: اجلس، جلبت لك الأمر الهام.

أخرج السلسلتين من جيب بنطاله، أخذهم شادي وأخذ يتفحصهم، ونظر لفارس وقال مسرورًا:

- أشكرك كثيرًا.

قال فارس وهو مغمضًا أحد عينيه:

- ما أمر ريماس؟ أليست هي ابنة جارتنا؟!

قال شادي:

- نعم هي. واستطرد مداعبًا وهو ينهض: ولا تطمع في أن أقول لك أكثر من ذلك، سأذهب أضعهم في مكتبي وأرجع لك.

*****

- صديق لي بالعمل يبحث لشقيقه عن عروس، ما رأيك إن دللته عنكِ بطريقة غير مباشرة؟

قالها عزت والد عالية في حضرة سامح شقيقها وسناء أمها مستغلًا اجتماعهم جميعًا.

ابتلعت عالية ريقها وقالت:

- هل يعلم ظروفي؟

كان عزت في يده كوب شاي، ارتشف رشفة وقال:

- هو يبحث عن زوجة ثانية؛ لأن زوجته الأولى لا تنجب فلن تهمه ظروفك.

هزت عالية رأسها يمينًا ويسارًا، وقالت:

- لا، لن أقبل أكون زوجة ثانية.

تدخلت سناء وقالت:

- ما المانع أن تكوني زوجة ثانية، يقول زوجته الأولي لا تنجب... ستكونين أنتِ المُدلّلة.

واستطردت موجهه حديثها إلى سامح الذي يتابع التلفاز وغير مهتم:

- قل شيئًا يا سامح.

التفت سامح وقال:

- صاحبة الشأن غير موافقة، فما فائدة رأيي؟

قال عزت:

- على راحتك يا عالية، أنا أخذت رأيك أولًا قبل أن أقول له أي شيء.

قالت سناء بانفعال:

- أنت يا عزت من تشجعها على ذلك وتدلّلها زيادة عن اللازم، يبدو أنها نسيَت أنها مُطلقة، ما المانع أن تكون زوجة ثانية، أريد أن أطمئن عليها في بيتها.

نهضت عالية من مجلسها ودلفت حجرتها، فقال عزت منفعلًا هو الآخر:

- ما هذا الذي قُلتيه، لقد جرحتي شعورها، يبدو أنك أنتِ من نسيتِ أنها ابنتك، بالتأكيد هي الآن تبكي.

- ما قصدتُ ذلك، أنت الذي أخرجتني عن شعوري.

*****

جلست عالية على سريرها تضم ساقيها إلى صدرها في وضع الجنين وظلت تبكي.. حديث أمها ضايقها كثيرًا، نعم هي معتادة على تلك السخافات ولكن ليس من أمها أقرب الناس إليها، تعلم أنها تقول ذلك لأنها تُحبها، ولكن طفح بها كيل الهموم والأحزان، ظلت ترثي حالها؛ فقد يتعامل معها المجتمع بشكل مقزز فقط لأنها مُطلقة، تجد من يعاملها على أنها عاهرة، وتجد من يعاملها على أنها فاشلة، وتجد من يشفق عليها؛ ملت كل ذلك، كرهت كل شيء، لم تعد لها طاقة احتمال لكل تلك السخافات والحماقات، كثيرًا ما يعجب بها شباب ولكن عندما يعلمون أنها مُطلقة يعدِلوا عن ما عزموا عليه، وكثيرًا ما يطمع بجسدها عندما يعلمون أنها مُطلقة، ظلت تتذكر كل ذلك وعبراتها تنساب بغزارة وهي تتمنى الموت بداخلها وتلعن ذلك المجتمع الذي يقيّد عُنقها بأفكاره، دقائق ودلفت لها سناء.. جلست جوارها وقالت:

- والله ما قصدت إهانتك وكل ما أتمناه هو راحتك، وأن أراكِ في بيت زوجك سعيدة بحياتك.

مسحت عالية عينيها وقالت:

- أعلم كل ذلك، ولكن استعجالك يا أمي المرة الأولى هو سبب ما أنا فيه الآن.

أحاطت سناء كتفي عالية بأحد ذراعيها، وطبعت قبلة على وجنتها وقالت:

- حقك عليَّ لن أتدخل في أمورك ثانيةً، ولكن لا تصعّبي الأمور على نفسك فكري بروية، هيَّا قومي اغسلي وجهك واستهدي بالله.

*****

عندما خرج شادي من باب مدرسته وجد ريماس تبعد عنه بأمتار قليلة في طريقها إلى منزلها، ركض شادي خلفها وقال:

- ريماس، انتظري.

وقفت ريماس والتفتت إليه قائلة:

- ماذا تريد؟

سار شادي جوارها وقال:

- أريد أن أتحدث معك، منذ يوم حصة الدرس السابقة عندما كنا نتناقش وغضبتي وأنتِ تهربين مني، حتى أنني أنتظرك وتريني وتعلمين أنني منتظرك، ولكنك تتركيني وتسيري وحدك، لمَ كل هذا؟!

لوت ريماس شفتيها وقالت:

- ألا تعلم لمَ كل هذا؟!

- أجل لا أعلم.

- قُلت لي أني تافهة، ولا أحب أن يصفني أحد بذلك مهما كان هو مَن.

- ما قصدت ذلك، كل الذي كنت أريده هو أن يكون لكِ هدف حتى يكون لحياتك معنى، عمومًا آسف إن كنت ضايقتك.

- ما حدث شيء.

قالتها بكبرياء، فقال شادي:

- ولكنكِ ما زلتِ مستاءة.

- لست مستاءة، قُلت لك ما حدث شيء.

خلع شادي حقيبته المدرسية وأخرج سلسلة ريماس منها، وأعطاها لها قائلًا:

- إذن تفضلي هذه.

أخذتها ريماس، عبثت بها ورأت اسمها المدون عليها، فقالت مُبتسمة:

- حلوة كثيرًا. واستطردت وهي عاقدة حاجبيها :جلبتها لأنك أغضبتني؟!

أومأ شادي برأسه قائلًا:

- بالضبط.

اعتلى وجه ريماس ابتسامة سعادة، وقالت وهي تشير إليه بسبابتها:

- إذن سوف أغضب من أقل الأشياء فيما بعد فاحذر.

ضحك شادي وقال:

- وأنا على استعداد المصالحة.

*****

مرت أيام وعاد فارس مساءً من عمله... دلف شقته وأغلق الباب خلفه بكعب قدمه، ووضع المفاتيح فوق الطاولة الموضوعة جوار الباب، وقف أمام الإطار المدون على الحائط وقال بصوت مرتفع كأنما يحدث شخص أمامه:

- قُلت لكِ أنك ستبحثين عني في وجوه الناس وأنا من فعلت ذلك وأبحث عنكِ في وجوه الناس.

أومأ برأسه وهو يقول:

- ذلك هو الجنون بعينه.

قال ذلك ودلف حجرته ارتمى على سريره.

*****

قطعت عالية تذكرة لمريض واستأذنت من محمود زميلها في العمل، وقامت بالخروج من الحجرة وذهبت إلى الاستراحة وجدت بعض زملائها، ألقت عليهم التحية وجلست في ركنها الخاص وأخرجت هاتفها لتهاتف مروة، كتبت الرقم ووضعت الهاتف على أذنها وانتظرت قليلًا حتى جاء رد مروة المكالمة، فقالت:

- كيف حالك أيتها الندلة؟

قالت مروة:

- لا، لن أتأثر؛ فتلك هي الكلمة الرسمية لبداية أي مكالمة.

ضحكت عالية، وقالت:

- أريد رؤيتك.. ما رأيك أن أمُرّ عليكِ بعد انتهاء العمل ونتناول طعام الغداء في مطعم.

- حسنًا سأنتظرك.

- باقي على انتهاء العمل نصف ساعة.

- حسنًا، سأجهَز من الآن.

*****

جاءت الساعة الثانية مساءً وانتهى موعد عمل عالية، مرت على مروة وجدتها في انتظارها..

ذهبا الاثنان إلى المطعم... طلبا ما سيأكلانه وجلسا في ركنٍ هادئ، عقدت عالية ذراعيها أمامها على الطاولة، وقالت فور جلوسهم:

- حدث لي شيء كنت لا أريد أن أقصه لكِ؛ لأني ظننت أنه أمر عابر، ولكنه أصبح يتطور. واستطردت مداعبة :فسأضطر أن أقصه لكِ؛ لأستعين بخبراتك وأرائك السديدة.

رفعت مروة أحد حاجبيها قائلة:

- كنت لا أريد أن أقصه لكِ! تقولين ذلك في وجهي؟!

أومأت برأسها وهي تقول: عمومًا قولي ما عندك وسأحاسبك على تلك الجملة فيما بعد.

جاءت النادلة ووضعت الطعام أمامهما، انتظرت عالية إلى أن تغادر وقالت:

- اسمعي للأخر دون مقاطعتي.

أومأت مروة برأسها.

فأكملت عالية:

- في محاضرة التنمية البشرية قابلت شابًا غريب الأطوار؛ طوال المحاضرة كان ينظر لي دون خجل، وبعدما انتهت المحاضرة وبينما أنا مُغادرة وجدته جاء ورائي استوقفني، ضحكت مروة بينما تستطرد عالية: ليخبرني أن عيناي جميلتان، وسألني ما الذي يعجبك في محاضرات التنمية البشرية؟ قال لي أكنتِ تعاقبين نفسك مثلًا، والذي فهمته منه أنه يكرهها وجاء تلك المحاضرة من أجل رهان مع صديقه، حدث حوار كبير اختصاره أنه قال لي

أنني لو ذهبت دون أن أعلم منه أي طريقة للتواصل بيننا، سأندم طوال حياتي وأنني من الممكن أن أبحث عنه في وجوه الناس، وذلك الذي حدث بالفعل.

قالت مروة وهي تأكل:

- يعني أنك الآن نادمة وتبحثين عنه في وجوه الناس.

قالت عالية وهي تجذب طعامها إليها:

- بالضبط.

ضحكت مروة، وقالت مداعبة:

- يبدو أنه عرّاف؛ فقد تحققت نبوءته.

- كُفّي عن تلك السخافة وأخبريني ماذا أفعل، لقد احتل كل تفكيري ولن أراه ثانية.

- لماذا لن تريه ثانية؟!

- لأني لا أعلم عنه شيئًا، وهو كذلك.

مضغت مروة آخر ما في فمها، وقالت:

- هو لا يحب التنمية البشرية وذهب لأجل رهان مع صديقه، وأنتِ أول مرة تذهبين إلى محاضرة كتلك أنا من دللتك عليها، أتظني أن يكون ذلك من محض الصدفة؟!

مالت عالية رقبتها قليلًا، وعقدت حاجبيها قائلة:

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أن الأرواح جنود مجندة، ومن الممكن أن تلتقيا ثانية، ولكن على كل حال لا تشغلي بالك به.

- كيف وكلامكِ هذا سيجعلني لا أفكر إلا به.

ضحكت مروة وقالت:

- أيام وستنسينه، ما أنتِ فيه فراغ ليس أكثر، أقنعي نفسك بذلك.

*****

-المكان أكثر من رائع، لمَ ستتركه؟

قالها حسن لفارس وهما جالسان على مقهى في الحسين.

قال فارس:

-المكان ساحر حقًا؛ لذلك لا أريد البقاء فيه حتى لا أتعود عليه ويصبح عاديًا، سأتركه بإرادتي وآتي كلما يوحشني لأجده بنفس البريق الذي أراه به الآن، ولكن دون عمل.

قال حسن باستغراب:

-منطقك غريب!

-اتصلت بك لتأتي نودع المكان سويًا، لا لتقنعني بالبقاء، ذلك أمري لا جديد، سأقعد في البيت إلى أن توشك أموالي على الانتهاء وأبحث عن عمل آخر. واستطرد وهو يضحك: أو أنتظر عرضك القادم.

ضحك حسن وقال:

-لا أعلم لماذا أنشغل بأمرِكَ وأحُمِّل نفسي مسؤوليتك دائمًا.

قال فارس مبتسمًا:

-تلك هي الصداقة يا صاح.

*****

"سيضرب الموت بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك"

تلك العبارة دونها شادي على باب حجرته كنوع من الدعابة؛ لكي لا يعكر صفوه أحد، وأثناء تناوله طعام العشاء مع أبويه قال رؤف:

-ما معنى ما مكتوب على باب حجرتك؟

قالت أمينة ضاحكة:

-صحيح، ماذا تقصد؟

مضغ شادي ما في فمه وقال:

- "سيضرب الموت بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك" هذه العبارة كانت مكتوبة على مقبرة توت عنخ آمون.

قاطعه رؤف قائلًا:

-ذلك المقصود به لعنة الفراعنة.

وقالت أمينة:

-أسمع كثيرًا عن لعنة الفراعنة، ولكن لا أعلم ما هي سوى أنها من الممكن أن تقتل شخصًا.

قال شادي وهو يبتلع ما في فمه:

-لعنة الفراعنة تشير إلى الاعتقاد بأن أي شخص يزعج مومياء مصريّة قديمة ستصيبه لعنة، خصوصًا لو كانت مومياء فرعون، تلك اللعنة تحدث من أسباب علمية مثل البكتريا أو الإشعاع، ممكن مثلًا تكون بكتريا داخل المقبرة تصيب من يفتحها، وممكن أن تكون في حاجز معين إذا تم فتحه يسقط فوق من فتحه التراب، وهكذا وهناك لعنات لا يوجد لها تفسير علميًا.

قاطعته أمينة وقالت:

- تعني أن لعنة الفراعنة أمر حقيقيّ، وليس خرافات؟

قال شادي:

-لا أستطيع أن أقول لكِ إجابة شافية، الأمر حتى الآن مُحيّر.

قاطعه رؤوف وقال:

-حتى الآن لم يستطع العلماء تحديد إن كانت حقيقة أم لا.

اومأ شادي برأسه وقال:

-أجل، فعندما فتحوا مقبرة توت عنخ آمون حدثت أشياء غريبة؛ مات كثير من العمال القائمين بالبحث في المقبرة، وذلك الأمر حير العلماء كثيرًا، وجعل الكثير يعتقد بلعنة الفراعنة.

واستطرد مستفيضًا:

- كما أن حدثت عاصفة رملية قوية حول قبر توت عنخ آمون في اليوم الذي فُتح فيه، وشاهدوا صقرًا يطير فوق المقبرة، والصقر هو أحد الرموز المقدسة لدى الفراعنة، وكل الذين مسوه طاردهم الموت واحدًا تلو الآخر، والغامض أن الموت كان لأسباب تافهة جدًا؛ لذلك عجز العلماء عن تفسير هذا الأمر تفسيرًا علميًا واضحًا.

عقدت أمينة حاجبيها وقالت:

-يا ستير! اللهم احفظنا.

قال رؤوف:

-أمرك غريب يا شادي، لا أعلم لماذا تهتم بذلك؟ عقليتك غريبة مثل أخيك، تعتقدون أشياء لا يعتقد بها أحد.

قال شادي مُبتسمًا:

-شغف يا أبي... شغف.

قال رؤوف:

-لا أمانع، ولكن المهم أن لا يؤثر اهتمامك هذا على دراستك.

قبض شادي أحد كفيه وقال:

-لا تقلق يا أبي، جميع الأمور تحت السيطرة.

ابتسم رؤوف وضم رأس شادي إلى صدره وقال:

-أسأل الله لك التوفيق.

*****

أخذ حجر من الكومة التي بجواره وقذفه في الماء، ذلك المكان الذي لا يوجد به أحد داخل المشتل عند النيل، يأتيه فارس عندما يكون بدون عمل، يقرأ كتابًا ثم يجلس يقذف حجارة في الماء حتى تنتهي الكومة ويعود إلى بيته، ولكن تلك المرة انتهت الحجارة وظل جالسًا ينظر إلى الماء يفكر في تلك التي رآها في المحاضرة حتى خُيّل له في ورد النيل والأشياء العبثية في الماء وجهها، ظل ينظر لها مبتسمًا، وقال:

-ما هذا؟ أراكِ في الماء أيضًا! واستطرد: كان اسمك فتاة الجدار، الآن ماذا أسميكِ؟ ، فتاة الجدار، أم فتاة الماء، أم فتاة المحاضرة؟! من المفترض أن أسميكِ فتاة المحاضرة؛ لأنها هي الوحيدة من بينكم الحقيقية، ولكن كيف أجدها؟ أخبريني يا فتاة الماء. ضحك وهو يقول: الحل الوحيد أنني أحضر جميع محاضرات التنمية البشرية؛ لعلي أجدها، حينها لا أتركها إلا بعد أن آخذ منها ما يجعلني أتواصل معها. واستطرد في ملل: ولكن كيف أتحمل تلك المحاضرات السخيفة، بالطبع لا أتحمل نصف محاضرة إن لم تكن فيها.

عقد فارس حاجبيه استغرابًا وقال:

-ما هذا؟ أحدث نفسي! الأمر تطور كثيرًا، يبدو أن كلام حسن صحيح وأني مُصاب بالجنون.

أخذ الكتاب من جواره ونهض ينفض ملابسه وعاد إلى بيته.

*****

أعدّت مروة فنجانًا من مشروب ساخن وذهبت إلى حجرتها، فتحت الحاسوب وسجلت دخول إلى موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" فوجدت إشعار رسالة ظنّتها من أحد أصدقائها، ولكنها عندما فتحت مربع الرسائل وجدتها من غريب، محتواها:

"متى ستضعين صورة لكِ؟ لقد تعبت من تخيُل ملامحك.. عام من التخيُل كثير صراحة"

عقدت حاجبيها استغرابًا، هي لا ترد على رسائل الغرباء ولا تفتحها من الأساس كأي فتاة يأتيها عشرات الرسائل ولكن تلك الرسالة شغلتها ترى من ذلك الشخص ولماذا مهتم بأن يرى صورتها للحد الذي جعله يتخيل ملامحها، يبدو أنه يراقبها منذ زمن ترددت ترد على الرسالة أم تُهملها كالأخريات، ولكن الفضول حسم الأمر وجعلها تفتحها وتكتُب تلك العلامات" !!!" ، وخرجت من مربع الرسائل وظلت تقرأ آخر الأخبار.

*****

بعد نصف ساعة جاء لمروة الرد "ماذا"

قلبت شفتيها وكتبت:

-ماذا كيف؟ لا أفهم.

ابتسم هو وكتب:

-ماذا تريدين الآن؟

كتبت مروة باستغراب:

-باعتبار أني مَن أرسلت لكَ متى ستضع صورة لك مثلًا.

أرسل ملصق يضحك وكتب:

-مثلًا.

زاد غضب مروة؛ فكتبت:

-الحظر يرضيك!

اعتدل هو في كرسيه، وكتب سريعًا:

-انتظري.

فتحت الرسالة ولم ترد، فكتب هو:

-ماذا تريدين حقًا؟ لا أمزح.

كتبت مروة:

-ماذا تريد أنت؟ ولماذا تتخيل ملامحي؟

أرسل لها صورة لتعليق لها على أحد الصفحات، كان التاريخ منذ أكثر من عام، نسيت هي أمر ذلك التعليق من الأساس، رأت الصورة فلم تفهم؛ فكتبت:

-ما أمر ذلك التعليق؟!

ازدرد ريقه وكتب:

-أعجبني ذلك التعليق، أثارني الفضول أن أرى حسابك ومنشوراتك، ومنذ ذلك اليوم وأنا أتابعك وأفتح حسابك يوميًا أرى ما تدونيه أول بأول، علمتُ مَن إخوتكِ ومَن أقاربكِ ومَن صديقتكِ المقرّبة، علمت عنكِ كل شيء تقريبًا، لا ينقصني سوى أن أرى صورتك، فأرسلت لكِ ما أرسلت بعد أن أرهقني التخيل، هذا كل ما في الأمر.

قرأت مروة ما كتبه بدهشة، ما كانت تتصور يومًا أن يراقبها أحد لا تعرفه ولا يعرفها، وما زاد دهشتها أنه يتكلم ببساطة ولا تعلم ماذا يريد، فكتبت:

-ولماذا تريد أن ترى صورتي حتى الآن؟ لا أفهم.

كتب:

-أنتِ تسألين كثيرًا لعلمك.

وأرسل رسالة ثانية:

-فضول ليس أكثر.

وأرسل رسالة أخرى مغيرًا دفة الحديث ليفتح حوارًا آخر:

-ماذا فعلتِ في مقابلة العمل التي كانت الخميس الماضي؟

وجدت نفسها تلقائيًا تكتب:

-قوبلت بالرفض؛ لأنهم يحتاجون خبرة.

وظلا يتحدثان كأنهما أصدقاء منذ زمن بعيد.

*****

-أمس كنت أرسم، وكانت أمي جالسة أمامي ؛فرسمتها.

قالتها ريماس لشادي وهما جالسان في فناء المدرسة أثناء الفاصل بين الحصص بما يسمي بـ" الفُسْحَة"، واستطردت وهي تفتح حقيبتها: سأريك ما رسمته، تشبهها كثيرًا. أخرجَت كراسة الرسم وأعطتها لشادي الذي أخذها وظل يقلب من أول صفحاتها، أعجبه رسوماتها إلى أن جاء عند رسمتها لأمها، كانت الرسمة خطوط فقط بدون ظل ونور، ولكنها تشبه أمها بالفعل، فقال:

-إنها تشبهها كثيرًا حقًا، ما كنت أعرف أنك تحبين الرسم.

فرحت ريماس وقالت:

-أتعلم لماذا رسمتها؟

-لماذا؟ !

-تتذكر عندما قُلت لي لابد أن يكون لي هدف أسعى إليه حتى يكون لحياتي معنى؟

اومأ شادي برأسه وقال:

-أجل.

قالت ريماس مُبتسمة:

-شعرت أنني أرسم جيدًا، جربت أن أرسم أمي، وعندما رأتها أمي قالت أنها تُشبهها، سررت كثيرًا وجعلتُ الرسم هو هدفي وسأسعى لتحقيقه وأدخل كلية الفنون الجميلة، ما رأيك؟

اتسعت ابتسامة شادي، وقال بسرور:

-رائع جدًا. واستطرد: إذن اهتمي به؛ لتكوني مميزة وسأتابع معكِ ذلك، حاولي كل يوم بعد الانتهاء من المذاكرة أن ترسمي شيئًا جديدًا.

أومأت ريماس برأسها مُبتسمة، وقالت:

-سأفعل ذلك.

*****

ذهب فارس إلى حسن في الصيدلية وجده مستندًا على المكتب يدوّن أسماء بعض الأدوية الناقصة في أجندة، فقال فارس مداعبًا:

-هل نقابة الصيادلة والأطباء عندهم عِلم بخطك هذا؟

رفع حسن رأسه وهو يضحك، وقال:

-أغلبيتهم نفس هذا الخط. واستطرد: اجلس.

:وقال حسن قبالته عليه، وجلس جلس مقعدًا فارس جذب

-جيد أنكَ أتيت، كنت سآتي لك بعد انتهاء العمل.

-الملل يقتلني.

-إذن ابحث عن عمل لكي لا تمَلّ.

ضحك فارس وقال:

-لا، ما مللت لتلك الدرجة. واستطرد: عندما توشك أموالي على الانتهاء سأبحث.

جاء مشتري فقام حسن أخذ منه روشتة العلاج وجلب له الأدوية ووضع المال في الدرج، ثم عاد ليجلس قبالة فارس ثانية، فقال فارس وهو يعبث بقلم بيده:

-أمس كنت جالس عند النيل رأيت فتاة الجدار والمحاضرة في الماء أيضًا، الأمر تطور كثيرًا، أريد أن ألاقيها.

ضحك حسن وقال:

-وكيف رأيتها في الماء، تبدو وكأنك سقطت من فيلم خمسيني قديم.

-رأيت ملامحها مرسومة بالقش الذي في الماء وورد النيل.. أريد أن أصل إليها ولا أعرف كيف؟ واستطرد فارس ضاحكًا:

-تعرف بماذا اقترحت على نفسي الحل؟

قال حسن:

-بماذا؟ واستطرد متوقعًا: أن تحضر محاضرات التنمية البشرية المتاحة أمامك لعلّك تجدها.

ضحك فارس وقال:

-لو كنت تقرأ أفكاري ما كنت قرأتها بتلك الدقة.

ضحك حسن وقال:

-من أين جاءت لك تلك الفتاة، أنت لا ينقصك جنون على جنونك.

*****

فتحت مروة موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وجلست منتظرة بلهفة أن يُحدّثها مصطفى، ذلك هو اسمه، فقد مرت أيام كثيرة وتوطدت العلاقة بينهم.. حتى الآن علاقة ليست محددة إن كانت صداقة... أو إعجاب... أو ربما حُب.

فتحت صفحته وظلت تعبث فيما تعبث به كل يوم تسجيلات إعجابه للصفحات :كي تعلم اهتماماته، كانت اهتماماته تشبه اهتماماتها كثيرًا.. وتعبث في صوره تارة وتعبث في تعليقاته وردوده على أصدقائه تارة أخرى، هي حفظت كل ذلك ولكن تضيّع وقت الانتظار في العبث بهم، حتى جاءتها رسالة منه، كانت صورة بها وجوه وأرسل رسالة أخرى " تلك الصورة ستجعلني أُجنّ، تُرى تحتوي على كم وجه؟! "

فتحتها وضحكت على طريقته التي يفتح بها حوارًا، كل يوم يأتي لها بشيء غريب، عدّت الوجوه الموجودة بالصورة وكتبت:

-تحتوي على ستة وجوه، الأمر بسيط، يبدو أنك تحتاج كشف نظر ليس أكثر.

ابتسم مصطفى وكتب:

-رأيتهم أنا خمسة وجوه، من فينا الصواب إذن؟!

كتبت مروة مداعبة:

-بالتأكيد أنا.

-ولمَ لا أكون أنا؟

كتبت مروة بعناد:

-لأنهم سِتة وجوه، فبالتالي أنا الصواب.

-لن تفرق أنا مِن أنتِ.

ابتسمت من تلك العبارة، وكتبت مغيرة دفة الحوار:

-هل شاهدت برنامج ألعاب العقل اليوم، كان رائعًا حقًا.

-لا، جاءني صديقي "بالبلاي ستيشن" وحوّل عن قناة "ناشيونال جيوجرافيك" ووضع البلاي ستيشن وهزمني هزيمة ساحقة، سيذلني بها حتى أغلبه؛ لذلك أنا مستاء جدًا.

كتبت مروة مداعبة:

-ليست أول مرة تُهزم، من المفترض أن تكون تعوّدت على ذلك، من مصلحتك أن لا تلاعب أحدًا ثانية حفاظًا على كرامتك.

ضحك مصطفى وكتب:

-سألاعب زوجتي، بالتأكيد ستكون لا تعرف قوانين اللعب من الأساس، وبذلك يسهُل هزيمتها.

-وافرض أنها تلعب "البلاي ستيشن" ومحترفة.

-أنتِ تلعبين البلايستشن ومحترفة؟

-لا.

-إذن هي كذلك.

فهمت ما يرنو إليه، ولكن كتبت:

-ما علاقتي بزوجتك؟!

اعتدل مصطفى في جلسته وكتب دون تردد:

-لأنك ستكونين زوجتي.

*****

-أمس قال لي أنه يحبني وسوف يأتي لخطبتي الشهر القادم.

قالتها مروة مسرورة وهي واقفة بجوار عالية في شرفة بيتها، قالت عالية:

-أنتِ متأكدة من صدق مشاعرك ومشاعره؟ ذلك عالم افتراضي تتحدثان من خلف شاشة.

نظرت لها مروة وقالت:

-الفيس بوك عالم افتراضي ولكن نحن واقع، وكما قُلت لكِ منذ فترة الحب تلاقي أرواح وقد تلاقت أرواحنا، لا يهم كيف ولا أين تلاقت؟ ولكن المهم أنها تلاقَت.

ابتسمت عالية وقالت:

-تلك هي الشخصية التي تبحثين عنها؟

-توجد اختلافات بسيطة، ولكني أحببته حقًا، وأصبحَت شخصيته هي التي أريدها.

قالت عالية وهي ناظرة أمامها:

-تعرفين يا مروة... الحب في التواصل الاجتماعي يُضيِّع حلاوة الحب.

عقدت مروة حاجبيها وقالت:

-كيف؟!

-عندما ترين من تحبين يدق قلبك دقات سريعة، لا تعلمي لماذا؟ ولكنك تشعرين بسعادة عارمة وابتسامة لا تفارق وجهك، بالتأكيد في الفيس بوك لا تشعري بذلك إطلاقًا.

ضحكت مروة قائلة:

-ولكن في الفيس بوك ما يوازي ذلك؛ عندما أراه نشطًا وجوار اسمه العلامة الخضراء أشعر بالسعادة، وعندما يبعث لي رسالة ونتحدث الابتسامة لا تفارق وجهي، حتى وإن كان الكلام لا يدعو للابتسام.

ضحكت عالية وقالت:

-الله يسعدك يا مروة.

ابتسمت مروة، وقالت مداعبة:

-ويسعدك بملاقاة العرّاف الذي تبحثين عنه.

*****

ذهب فارس إلى بيت أمه عصرًا، طرق الباب ففتح له شادي، دلف فارس وهو يضع يده على شعر شادي قائلًا:

-أين أمك؟

قال شادي وهو يغلق الباب:

-نائمة، لا تعلم أنك ستأتي.

جلس فارس وقال:

-حسنًا لا توقظها. واستطرد: هل جاء أبوك من العمل؟

-لا، سيعمل فترة أخرى اليوم.

مسك فارس ريموت التلفاز وقال:

-وأنت ماذا تفعل؟

-أتصفح الفيس بوك، ما رددتَ على رسالتي الأخيرة لك، لماذا؟ !

-لم أرها ؛الشبكة في شقتي سيئة للغاية.

-حسنًا، سأذهب إلى الحاسوب.

أشار له فارس بكفه وقال:

-استمتع بوقتك.

ظل فارس يقلب في قنوات التلفاز بملل، لم يعجبه شيئًا فترك الريموت، وقام ليتجه إلى المطبخ... فتح الثلاجة وأخذ ثمرة موز أكلها وقذف قشرتها في سلة المهملات وغادر المطبخ، اصطدم بأمه وهي خارجة من باب حجرتها، فقالت وهي واضعه أحد كفيها على فمها تتثاءب:

-فارس! متى جئت؟!

قال فارس:

-منذ خمس دقائق تقريبًا، كيف حالك يا أمي؟

-بخير، سأذهب لأغسل وجهي وآتي لك.

أومأ فارس برأسه وجلس مكانه، وجد شادي خارجًا من حجرته ومعه كتاب وكراسة ومتجه إلى باب الشقة، وقال:

-أخبِر أمي أني ذهبت إلى الدرس عند ريماس.

غمز له فارس وقال:

-سأخبرها.

ضحك شادي وهو يغلق الباب خلفه، وجاءت أمينة جلست جوار فارس، فقال لها:

-شادي يُخبركِ أنه ذهب للدرس عند ريماس.

-تناول طعامه قبل أن يذهب؟

-لا أعلم، كان في حجرته. واستطرد: لمَ لا يأخذ الدرس هنا؟!

-كانا يأخذانه دائمًا هنا، ولكن هم الآن في أيام امتحانات ويأتي المعلم كل يوم؛ فجعل الحصة مرة هنا ومرة عند ريماس.

-وفقهم الله. واستطرد: كيف حال شهد؟

-شهد مستاءة منك جدًا، تقول لا يسأل ولا يأتي.

أومأ فارس برأسه بأسف، وقال:

-معها حق، أنا مُقصِّر في حقها كثيرًا، سأذهب لها قريبًا.

*****

انتهى المعلم من شرح الدرس ولملم أشيائه وغادر، فأخرج شادي "Flash Memory" من جيب سرواله وأعطاها لريماس قائلًا:

-تلك الفلاشة حمّلتُ لكِ عليها من اليوتيوب أساسيات الرسم والظل والنور، انقليهم عندك وشاهديهم سيفيدونكِ كثيرًا.

أخذتها ريماس مُبتسمة وقالت:

-أشكركَ كثيرًا.

قام شادي ليغادر، فقالت ريماس:

-انتظر سأريك ما رسمته اليوم.

وقف شادي منتظرًا حتى جلبت له كراستها وأعطتها له، كانت رسمتها لملك فرعوني.

أعجب شادي كثيرًا وفرح أنها رسمت فرعونَ لأجله، فقال لها مبتسمًا:

-تسمحين لي أن آخذ تلك الرسمة.

فهذه ستكون تحفة من ضمن تحفه الأخرى، ربما تكون أكثرهم قيمة لديه.

أومأت ريماس برأسها وهي مبتسمة، ونزعتها له من الكراسة، وقالت وهي تعطيها له:

-شادي، لماذا لا يوجد تمثال فرعوني له شعر؟!

ضحك شادي وقال:

-لأنه لم يكن مسموحًا للفرعون بإظهار شعره، لذلك كان دائمًا يضع تاجًا أو رداء للرأس. واستطرد وهو يشير للرسمة التي في يده: كتلك.

عقدت ريماس حاجبيها وقالت:

-كان الحجاب فرضًا على الفرعون؟!

ضحك شادي بصوت مرتفع وقال:

-حلوة فرض تلك. واستطرد بجدية: في معتقداتهم نعم كان فرضًا عليه.

أومأت ريماس برأسها صامتة؛ فأخذ شادي الرسمة واتجه إلى الباب وهو يقول لها:

-لا تنسي أن تنقلي الفيديوهات عندك وتعطيني الفلاشة.

-حسنًا، سأنقلهم وأبعثها لك.

*****

كانت مروة في المطبخ تطهي طعامًا لها ولوالدتها، فهما يعيشان بمفردهما، أبوها متوفًّى ولها شقيقتان متزوجتان، سمعت هاتفها يدق فاتجهت إليه في حجرتها، أمسكته فوجدت المتصل صديقتها سيمازا ؛ففتحت المكالمة وقالت بفرحة:

-سيمازا، كيف حالك؟

ضحكت سيمازا وقالت:

-أما زِلت تتذكرين سيمازا؟!

-لا أستطيع أن أقول لكِ غير ذلك.

-ما أخبارك يا مروة، اشتقت لكِ كثيرًا ولبقية الأصدقاء.

ابتسمت مروة وقالت:

-والله أنا من اشتقت لكِ أكثر.. منذ فترة كنت أحدث صديقتي عنك، وقُلت لها أن نأتي لكِ نزورك، وانشغلنا ونسينا.

-ما زِلنا في الأمر، حددي يومًا وسأنتظركما.

-سنأتي لكِ خلال تلك الأيام إن شاء الله، سأحدد موعد معها وأبلغك.

-سأنتظركما.

قالت سيمازا ذلك وظلا يتحدثان كثيرًا.

*****

مر يومان وأتى يوم الجمعة، كانت مروة اتفقت مع عالية على الذهاب لصديقتها في هذا اليوم.

أثناء ذهابهما قالت عالية:

-حتى يوم أجازتي يا مروة أذهب من بيتي لبيت آخر؟! أنا لا أعرف صديقتك تلك، وسأكون غير مرتاحة في جلستنا، كُنا ذهبنا إلى مكان آخر غير ذلك.

-لم أرها منذ يوم زفافها واشتقت لها كثيرًا، وصدقيني ستحبينها وتشعرين معها بالألفة سريعًا.

سارت عالية جوارها في استسلام.

*****

طرقت مروة باب شقة صديقتها، لم ينتظرا كثيرًا وفتحت سيمازا وقالت:

-مروة، أخيرًا رأيتك.

وتعانقا الاثنان كثيرًا حتى أشارت مروة على عالية وقالت:

-صديقتي عالية.

توجهت سيمازا إليها بالتحية وسلمت عليها بابتسامة صافية، وأفسحت لهما الطريق ليدلفا وأغلقت الباب، وجلس الثلاثة قبالة بعضهم، فقالت سيمازا:

-ما آخر أخبارك يا مروة؟ هيَّا قُصي لي كل جديدك، أما زِلتِ تبحثين عن فتى أحلامك.

التفتَت سيمازا إلى عالية، وقالت مداعبة:

-لا تعرفين مروة؛ فقد عقدتنا جميعًا أيام الدراسة، كان كلما يعرض عليها شاب زميلًا لنا الارتباط بها كانت ترفض، وعندما نسألها لماذا إنه شخص على خُلق، تقول ليسَت الشخصية التي أريدها.

ضحكت عالية وقالت:

-ومَن قريب من مروة لا يعرف ذلك؟

فقالت سيمازا:

-إذن ما زالَت حتى الآن كذلك.

تربعت مروة علي مقعدها، وقالت:

-وجدته منذ فترة قليلة.

قالت سيمازا:

-لا، لا أصدق، أين وجدتيه إذن؟

-في الفيس بوك.

ضحكت سيمازا وقالت:

-تتكلمين جد؟!

قالت مروة:

-أجل، وخطبتي ستكون الشهر القادم. واستطردت مداعبة: وأنتِ ثاني المدعوين بعد عالية.

فقالت سيمازا:

-مُبارك أنكِ وجدتيه، أنا قُلت أنك ستهاجرين تبحثين عنه. واستطردت موجهة حديثها إلى عالية قائلة:

-وأنتِ يا عالية مخطوبة أم متزوجة أم تبحثين عن شخصية معينة مثل مروة ولم تجديها بعد؟

قالت مروة مداعبة لكي تخفف خجلها:

-تبحث عن عراف.

فضحكت سيمازا وقالت:

-عراف؟! كيف؟

فقالت عالية:

-تعرفين مروة تمحوّر الأشياء وتبتدع قصصًا غريبة.

قالت سيمازا وهي مغمضة أحد عينيها:

-إذن ما هي القصة الصحيحة.

شعرت عالية بالألفة والطمأنينة فقالت:

-أنا مُطلقة، وكنت أريد أي رجلٍ مناسب للزواج لكي يرحمني من نظرة المجتمع، ولكن منذ فترة رأيت شابًا أصبح هو من أريده، ولكني لا أعلم عنه أي شيء، حتى اسمه، ولا أعلم حتى كيف أجده، ولكني على يقين أني سأجده مرة ثانية.

عقدت سيمازا حاجبيها، وقالت باستغراب:

-كيف أحببتِه هكذا وأنتِ لا تعلمين عنه شيئًا؟!

هزت عالية كتفيها وقالت:

-صدقيني لا أعلم.

قالت سيمازا مداعبة:

-ولماذا مروة تقول عليه عراف؟

فقالت مروة:

-قال لها ذلك الشاب أنها إن تركته دون أن تأخذ رقم هاتفه أو أي طريقة للتواصل فيما بينهما ستندم طوال حياتها، وأنها من الممكن أن تبحث عنه في وجوه الناس. واستطردت ضاحكة: وهذا ما حدث من ثاني يوم، وهي تتندّم وتبحث عنه في وجوه الناس.

ضحكت سيمازا وقالت:

-قصة غريبة.

قالت عالية بلهجة يائسة:

-ولكني حتى إن وجدته إن كان لم يسبق له الزواج وعلم أنني مُطلَّقَة سيصرف نظر عن ذلك الموضوع بالتأكيد.

قالت سيمازا:

-ليست كلمة مُطلَّقَة عقبة إلا عند المرضى النفسيين.

قالت عالية بضحكة واهنة:

-مجتمعنا جميعه أصبح مريضًا نفسيًا.

-لا تفكري هكذا، إن كان يبحث عنكِ مثلما تبحثين عنه لن يهمه شيء.

أومأت عالية برأسها مبتسمة، فقالت سيمازا مُرحِّبة:

-نوّرتِ شقتي والله يا عالية، حتى أكثر من مروة.

ابتسمت عالية وقالت:

-الشقة منورة بأصحابها، مروة حدثتني عنكِ بكل خير ووجدتُكِ كما قالت. واستطردت :ولكن ما قصة سيمازا؟! تتصوري أنني لا أعرف اسمك الحقيقي حتى الآن.

ضحكت سيمازا وقالت:

-كان عندنا في الدراسة شخصية خيالية كنتُ مغرمَة بها ومتقمصة دورها دومًا اسمها سيمازا، وأصدقائي هم من لقّبُوني به أثناء الجامعة، ولكن لا أحد يناديني به الآن سوى مروة، هي من تذكرني به كلما تحدثنا، اسمي الحقيقي شهد، سيمازا أجمل كثيرًا، أليس كذلك؟

ابتسمت عالية وقالت:

-لا، شهد أجمل.

فقالت مروة:

-لا سيمازا أجمل، لا تجاملها، أنا لا أحب اسم شهد ولا اسم مروة حتى.

ضحك الثلاثة، ونهضت سيمازا وهي تقول:

-الحديث معكم لن ينتهي، البيت بيتكم، سأجلب عصير وآتي.

دلفت المطبخ، دقائق ودق جرس الباب، فقالت وهي في مكانها:

-افتحي يا مروة، يبدو أنه الصبي الذي يُنظِف السّلم، ماجد لن يأتي الآن.

كانت عالية هي من تجلس تجاه الباب، فقالت مروة وهي منشغلة بالعبث بهاتفها:

-افتحي يا عالية.

نهضت عالية واتجهت إلى الباب فتحته؛ فعقدت الدهشة لسانها وظلت صامتة كأن قد توقف الزمن عند هذه اللحظة؛ فقد كان فارس هو من يدق الجرس، ظل مذهولًا هو الآخر، ظن أنه يهيّؤ له.. رجع بجسده للخلف ونظر حوله؛ ليتأكد أنه أمام شقة شقيقته.

خرجت شهد من المطبخ تحمل العصير فوق الصينية، وجدتهما واقفَين صامتَين، فقالت وهي تتجه إليهم:

-فارس ادخل، لماذا تقف عندك؟!

ظل صامتًا وهو ينظر إلى عالية وهي كذلك، فعقدت شهد حاجبيها وقالت وهي تضحك:

-ماذا بكما؟!

سمعت مروة ما يحدث فقامت اتجهت إليهما، وقالت:

-ماذا بكِ يا عالية؟

فنطق فارس أخيرًا، وقال مبتسمًا:

-عالية! هذا اسمك؟

فقالت شهد:

-أنتمَا تعرفان بعضكما؟

قالت عالية مرتبكة:

-هيَّا، هيَّا بنا نذهب يا مروة.

قال فارس:

-لن أتركك تلك المرة، طوال تلك المدة التي مضَت كنت أبحث عنكِ.

فنظرت مروة وشهد إلى بعضهما، وقالت مروة:

-هذا هو العراف؟!

وقالت معها شهد في ذات الوقت:

-فارس أخي هو العراف؟!

وانفجرا الاثنان في الضحك.

فقالت عالية وهي ما زالت مرتبكة:

-هيَّا يا مروة.

قالت شهد:

-ادخلي يا عالية نتفاهم.

قالت عالية:

-لابد أن أغادر الآن، هيَّا يا مروة.

سد فارس الباب بذراعيه وجسده، وقال:

-قُلت لكِ لن أتركك تلك المرة، ادخلي نتفاهم.

قالت شهد:

-فارس، لا يصح ذلك، اتركها كما تريد.

قالت ذلك وجذبته من أمام الباب؛ لتفسح لمروة وعالية الطريق، دلفت مروة لتجلب حقائبهما، وأخذت عالية في يدها، وقالت وهي تغادر موجهة كلامها لشهد:

-سنغادر الآن وسأحدثك في الهاتف.

قالت شهد:

-حسنًا، سأنتظر مكالمتك.

*****

أغلقت شهد الباب، ودلف فارس وهو يقول:

-تلك صديقتك؟

-صديقة صديقتي، أول مرة أراها.

جلس فارس وقال مبتسمًا:

-إنه القدر، دائما يبهرنا؛ تعرفين أنني أبحث عنها منذ فترة.

ضحكت شهد وقالت:

-هي الأخرى منذ أن رأتك وهي تبحث عنك. واستطردت ضاحكة: في وجوه الناس.

ارتفع حاجبا فارس دهشة وقال:

-تتكلمين جد؟ هي من قالت ذلك؟

-أجل.

ابتسم فارس، فقالت شهد:

-تريد أن تخطبها؟

-أنا مُنجذب إليها ولكن لا أعرف أي شيء عنها، سآخذ تلك الخطوة بالتأكيد عندما أعرفها جيدًا، ومن الأساس لست مُهيأ للخطوبة الآن.

عقدت شهد حاجبيها وقالت:

-لماذا؟!

-ليس معي أي شيء، ولكن سأجمع المال من اليوم.

-أبوك سيساعدك.

-لا لن أقبل، لست فتاة حتى يساعدني، من المفترض أن أساعده أنا وليس العكس. واستطرد: المهم الآن هاتِفِي صديقتك وخذي منها رقم هاتف عالية.

-أريد أن أخبرك بشيء عن عالية.. إنها مُطلَّقَة.

صُدم فارس وصمت هنيهة، ثم قال:

-لا يهمني ذلك.

قالت شهد:

-متأكد؟

-أجل متأكد، هيَا هاتفي صديقتك.

*****

-لا أصدق ما حدث، أشعر وكأنه حُلم، لا تعلمين مدى خجلي الآن من سيمازا تلك ولا شهد، دونًا عن كل العالم يكون أخوها!

قالتها عالية أثناء سيرها هي ومروة.

ضحكت مروة وقالت:

-ما المشكلة إن كان أخوها؟

-لا تعلمين ما المشكلة؟! المشكلة أني قُلت لها أنني أبحث عنه ولا أريد سواه.

-المهم الآن أنك وجدتيه.

-لا أشعر بالفرحة أني وجدته، أشعر بالخوف.

عقدت مروة حاجبيها وقالت:

-خوف! لماذا؟!

قالت عالية بانكسار:

-لأنه سيعلم أني مُطلَّقَة، خائفة من أن يتغير رأيه فيّ.

-لا تقلقي، هو قال لكِ أنه يبحث عنك طوال تلك المدة التي مضَت، بالتأكيد لا يهمه ذلك.

دق هاتف مروة... أخرجت الهاتف من حقيبتها فوجدت المتصل، شهد فنظرت إلى عالية وقالت:

-إنها سيمازا.

فتحت المكالمة، فقالت شهد:

-مرحبًا.

-مرحبًا يا سيمازا.

-فارس يريد أن يتحدث إلى عالية.

بعدت مروة الهاتف عن أذنها وقالت:

-فارس يريد أن يُحدثكِ.

هزت عالية رأسها يمينًا ويسارًا وهي تهز سبابتها، وقالت بصوت منخفض:

-لا لا لا، ماذا سأقول له؟

أخذ فارس الهاتف من يد شهد وقال:

-أعطني عالية من فضلك.

فأعطت مروة الهاتف لعالية، وقالت بصوت منخفض:

-خذي فارس مَن يتحدث.

ظلت عالية تهز رأسها وتبرق بعينها لمروة، فقال فارس:

-عالية.

بلعت عالية ريقها، وقالت بصوت متحشرج:

-نعم؟

ضحك فارس وقال:

-لمّ كل هذا الارتباك؟

-لستُ مرتبكة.

-أين أنتِ الآن إذن؟

-لماذا؟!

-سآتي إليكِ.

بعدت عالية الهاتف عن أُذنها، وقالت بصوت منخفض:

-يسألني أين أنا ليأتي، ماذا أقول؟

قالت مروة:

-قولي له العنوان.

هزت عالية رأسها نافية، فأخذت مروة الهاتف من يدها وقالت:

-نحن بالقرب من حديقة المدينة، سننتظرك بداخلها.

-حسنًا، سآتي الآن.

-حسنًا ونحن في الانتظار.

أغلقت مروة، فنهرتها عالية وقالت:

-ما الذي فعلتيه يا مروة؟ أنتِ لاغية شخصيتي في كل شيء، لن أنتظره، سأذهب أنا إلى بيتي وانتظريه أنتِ وحدك.

أمسكتها مروة من رسغها وقالت:

-ما الذي تقوليه يا عالية؟ أنا أفعل ذلك لأجلك، أليس هو من كنتِ تنتظرين رؤيته وتبحثين عنه، لا يصح الكلام الذي قُلتيه، حقًا ضايقتني.

أغمضت عالية عينيها وفتحتهما ثانية وهي تزفر قائلة:

-آسفة يا مروة لا أقصد مضايقتك، ولكني مرتبكة جدًا ولا أعلم ماذا سأقول إن رأيته.

-لا عليكِ، مُقدِّرة موقفك، هيَّا بنا إلى الحديقة، سيصِل قبلنا.

سارت عالية جوارها في استسلام.

*****

ذهب حسن إلى بيت فارس، ظل يطرق الباب ولم يجد ردًا؛ فأخرج هاتفه وهاتَفَ فارس الذي فتح المكالمة، فقال حسن:

-أنا أمام شقتك الآن، أين أنت؟

-في الشارع.. ذاهب إلى حديقة المدينة.

ضحك حسن وقال:

-ذاهب إلى حديقة وحدَك، تبًا للفراغ.

-ليس وحدي ذاهب إلى عالية، فتاة الجدار تنتظرني.

-تمزح بالطبع.

ضحك فارس وقال:

-صدقني لا أمزح، ادخل شقتي الآن أظن حان دور استخدام المفتاح، وسآتي أقص لك ما حدث.

-حسنًا، ولكن لا تتأخر.

-سأتأخر بالطبع، أقول لك فتاة الجدار، هل أنت مُدِرك للأمر؟

ضحك حسن وقال:

-سوف أنام إلى أن تأتي.

-حسنًا، خذ راحتك، وداعًا.

-وداعًا.

*****

وصل فارس إلى الحديقة، قطع تذكرة ودلف فوجدهما جالستَين على مقعد في أول الحديقة، اتجه إليهم، فقالت عالية قبل أن يصل:

-إنه قادم، أنا متوترة جدًا.

قالت مروة:

-لا تقلقي ماذا بكِ؟ أنتِ لست صغيرة على ذلك.

اقترب فارس منهما، فنهضت مروة وقالت:

-لا أحب الجلوس، سآخذ جولة هنا وآتي لكم.

قال فارس مبتسمًا:

-حسنًا.

فنظرت لها عالية تستغيث بها أن لا تتركها، ولكن غادرت مروة دون أن تنظر لها.

جلس فارس جوارها وترك مسافة بينهما، وتنحنح قائلًا:

-كيف حالك؟

-الحمد لله.

شعر فارس بخجلها وتوترها، فقال:

-عندما فتحتي لي الباب ظننتُ أنني وصلت لمرحلة خطيرة من الهوس بكِ. واستطرد مداعبًا: لا أعلم ما الذي جذبني إليكِ وقد رأيتك في محاضرة تنمية بشرية، تلك كفيلة بأن لا أفكر بكِ لحظة واحدة.

قالت عالية:

-تلك كانت أول محاضرة ولم أحضر قبلها ولا بعدها أي محاضرة أخرى، كان يوم عطلة من العمل وأردت أن أجرب وأَشْغَل نفسي بأي شيء.

-وماذا تعملين؟

-أقطع تذاكر المرضى في المستشفى المجاورة للحديقة. واستطردت: ولكن أنا مثلك لا أعلم ما الذي جذبك إليَّ، وليس بي شيء مُميز، وصراحة لا أؤمن بالحب من النظرة الأولى، الحب يأتي بالمواقف والأفعال.

-سأشرح لكِ، ولكن قومي نسير في ذلك الاتجاه.

قالها وهو ينهض ويشير بأحد ذراعيه أمامه، نهضت هي الأخرى، فقال فارس وهو واضع يديه في جيوب سرواله وينظر لأعلى:

-أنا أحبك قبل أن أراكِ.

تسارعت نبضات قلب عالية وشعرت بالخجل من تلك الكلمة، كانت تريد أن تقول له "كيف قبل أن تراني "ولكن عقَدَ الخجل والارتباك لسانها، فقال فارس مفسرًا كلامه:

-يوجد جدار في شقتي به قشور ناحتة وجهك، نفس ملامحك، وتلك الملامح أنا أعشقها.. ليست بنفس الدقة بالتأكيد، ولكن هيئتها عامةً مثلك، كنت دائمًا أتساءل: هل تلك الفتاة من الممكن أن تكون حقيقية أم أنها مجرد خيال؟ واستطرد مبتسمًا: ولكني وجدتك.

نظر إلى عالية وجدها صامتة تكسو ملامحها الدهشة، فقال:

-ما قصَصْته ضرب من الجنون وأغرب من الخيال، أليس كذلك؟

خرجت عالية عن صمتها وقالت:

-أقول لك شيئًا؛ أنا أشعر أن كل مانحن فيه الآن خيال ولست مقتنعة أنه حقيقة بالمرة.

ضحك فارس قائلًا:

-بالمرة؟!

كررتها عالية:

-بالمرة.

-وما الذي يجعلكِ تقتنعين أنه ليس خيالًا.

وقفت عالية نظرت حولها فرأت رجلًا أمامه ماكينة يضع بها السكر ويصنع حلوى "غزل البنات" وأمامه أطفال يبتاعون منه، فقالت وهي تشير إليه:

-غزل البنات هذا.. طعم الحلوى في فمي سيؤكد لي.

قال فارس:

-حسنًا، سأجلبه لكِ.

أشارت له عالية بسبابتها وقالت:

-انتظر، ولكن إن وجدتُ مانحن فيه حقيقة ماذا سيحدث؟

-لن يحدث شيء، سنأكل الحلوى معًا.

قال فارس ذلك واتجه إلى الرجل، أخرج نقودًا من جيبه وابتاع واحدة، أمسكها من العصا البلاستيكية الصغيرة الملتفة عليها وعاد إلى عالية، وقال:

-هيَّا تذوّقي.

لم تأخذها عالية، بل أخذت قطعة من الحلوى وضعتها في فمها تتذوّقها، مضغتها وهي تنظر له فقالت:

-يبدو أن ما يحدث حقيقة بالفعل.

أخذ قطعة هو الآخر ووضعها في فمه، وقال مداعبًا:

-حقًا؟!

أخذت عالية قطعة أخرى مضغتها وقالت مكررة:

-حقًا.

ضحك الاثنان بعد تلك الكلمة، فقال فارس:

-قُلتِ أن الحب يأتي بالمواقف والأفعال، إذن لماذا كنتِ تبحثين عني؟

تلاشت ابتسامة عالية وقالت:

-لا أعلم، ربما السبب الأساسي هو عدم اكتراثك لأقاويل الناس.

قال فارس مداعبًا:

-وأنا من تذكرتك انجذبتِ لطول قامتي وعضلاتي المفتولة ووسامتي المفرطة، يا للأسف كنت موهومًا.

ضحكت عالية، وردت المداعبة وقالت:

-إنك موهومٍ بالفعل، تظن أنك أحد نجوم هوليود.

ضحك فارس وقال:

-لا، أنا أظنني فارس رؤوف، أمي تقول أنني عندما وُلدتُ كنت وسيمًا جدًا، لذلك أسمتني فارس؛ لأني سأكون فارس أحلام الفتيات.

-جد؟!

كررها فارس وقال ضاحكًا:

-جد.

وأردف بجدية:

-أنا أمزح، ولكن أن يكون السبب الأساسي هو عدم اكتراثي لأقاويل الناس فهذا غريب.

-ليس غريبًا، فيما بعد ستعرف لماذا كان ذلك سببًا أساسيًا.

قابلا مروة في طريقهما، فقالت عالية:

-جيد أني رأيتكِ، هيَّا لنغادر.

فقال فارس:

-كيف سأراكِ ثانية؟

قالت عالية:

-أعطني هاتفك وليس الرقم؟

أخرج هاتفه من جيبه وأعطاه لها، أخذته عالية فتحت المذكرة ودوَّنت عنوان بيتها، وقالت وهي تعطيه له:

-ذلك عنوان بيت أبي، إن كنت تريد أن تراني ثانية.

أخذه فارس وقال مبتسمًا:

-حسنًا.

*****

اتجه فارس إلى شقته، فتحها فوجد حسن نائمًا على الأريكة في الصالة، دلف المطبخ أخرج من الثلاجة بطاطس مقشرة ومقطعة جاهزة للقلي، فقط أمه من تفعلها له هكذا وتعطيها له حينما يذهب لها، وضعها في المقلاة وأخرج أربعة أرغف من الخبز وضعهم في الفرن ليسخنوا، وأعد الطعام ووضعه على صينية وذهب إلى حسن، أيقظه وقال:

-قبل أن تتكلم، سنأكل أولًا وأقص لك ما حدث؛ لأني جائع جدًا.

بعد أن تناولا الاثنان الطعام قال فارس:

-أعِدّ لنا كوبين من الشاي، فقد أعددتُ أنا الطعام.

نهض حسن وقال:

-لا تفعل شيئًا لوجه الله أبدًا.

أخذ الصينية وذهب إلى المطبخ، أعدّ كوبين الشاي، وجاء جلس قبالة فارس وقال:

-هيا قُصّ عليّ كل ما حدث.

*****

كانت ريماس عند شادي يذاكران سويًا، فتلك الأيام هي آخر أيام امتحانات نهاية العام لهم، فأغلق شادي الكتاب الذي بيده وقال:

-انتهينا من المراجعة. واستطرد: ما رأيك إن ذهبنا إلى الأهرامات وتأخذي معك كراسة رسمك ترسمي، ونأخذ جولة هناك بعد انتهاء آخر امتحان يوم الثلاثاء.

قالت ريماس دون أن تنظر له وهي تدوّن شيئًا في كراستها:

-أمي لن توافق.

-لماذا؟!

-تخاف عليَّ من عبور الطرق والسيارات، ستقول أنها بعيدة.

أومأ شادي برأسه وقال:

-حسنًا سأقنعها أنا، نحن لسنا صغارًا، كيف نحن مصريَّين ولم نرَها حتى الآن ويأتي جميع الناس من أنحاء العالم ليروها.

أغلقت ريماس كراستها، وأسندت ذقنها على قبضة يدها وقالت وهي تنظر له :أود أن أذهب معك، ولكنها لن توافق، لا تتعب نفسك.

-دعيني أجرب.

*****

اتجهت عالية إلى فراشها لتنام، ألقت جسدها على السرير وسحبت غطاء خفيفًا عليها، أغمضت عينيها وعلى شفتيها ابتسامة واسعة عكس كل يوم، تلك الليلة نامتها وهي سعيدة لأقصى درجة وكأنها لم تشقَى من قبل ولم تحزن قط، لمَ كانت تحزن وأمرها بيد الله يدبر لها مالم يستوعبه عقلها الصغير؟! لمَ كانت تحزن وتضيع أول أوقات نومها في الحزن؟ أليس النوم أحق بذلك

الوقت الذي كانت تضيعه في الحزن والبكاء؟! فما الحزن إلا مضيعة للوقت بطريقة سيئة.

*****

انتهت ليلة عالية وابتدأت ليلة مروة صديقتها، كانت تتراسل هي ومصطفى يتحدثان عن أمر خطبتهما، حتى الآن لم يرها ولم تره على أرض الواقع، كل الذي بينهما المحادثات الإلكترونية فقط.

"ما رأيك إن تقابلنا في مكان عام أولًا لنرى بعضنا ونتفاهم قبل أن آتِ بيتكم؟ "

تلك كانت رسالة مصطفى، قرأتها مروة وكتبت:

-إن وجدتَني لستُ جميلة لن تأتي، أليس كذلك؟!

عقد مصطفى حاجبيه وكتب:

-بالتأكيد لا.. أنا أعجبني فكرك وشخصيتك، الشكل آخر شيء أفكر فيه، كنت أتشاور معكِ ليس أكثر، وطالما أنكِ لا تريدين ذلك، هذا رأيك وأحترمه.. عمومًا سآتي إلى بيتكم أولًا.

-ولكني لم أرفض.

ابتسم مصطفى وكتب:

-يعني أنكِ موافقة؟

-أجل، مقابلة في مكان عام لا تزيد عن عشرة دقائق حتى لا تندم فيما بعد.

-لن أندم عمري.

ابتسمت مروة وكتبت:

-إن شاء الله لن تندم.

*****

وقف فارس في شرفة بيته، كانت الساعة الثانية صباحًا، استند على السور بأحد ذراعيه وكان ممسكًا باليد الأخرى كوبًا من الشاي ارتشف منه رشفة وظل يفكر وهو يرتشف بين الفينة والأخرى فيما حدث اليوم، كان في حيرة، يريد أن يرى عالية ولكن لا يريد الخطبة في ذلك الوقت، كيف تتم الخطبة وهو بلا عمل، ولكنه عزم أن يبحث عن عمل غدًا.. لم يكن ذلك العائق؛ فقد كان في حيرة أخرى؛ إنه خائف من تلك الخطوة.. خائف أن يملّ من العلاقة، الحيرة التي فيها أن عالية ليست كأي فتاة؛ لأنها مُطلقة.. يعني أنها مخذولة من رجل من قبل، وهو إن مَل منها وتركها ستكره جميع الرجال بالتأكيد وتنعدم ثقتها فيمن حولها، وهو لا يريد أن يكون سببًا في ذلك البتة.

لا يعلم هل يتقرب إليها أم لا؟ بداخله شعور أن التقرب أكثر من اللازم من الأشياء الجميلة يفسدها، أو التعود على شيءٍ يجعله يفقد بريقه، كان هذا منطقه.

*****

جاء الثلاثاء وانتهت اختبارات شادي وريماس، وذهبا إلى أهرامات الجيزة كما اتفقا ولكن بصحبة رانيا والدة ريماس بعد إلحاح شادي عليها، قالت أنها موافقة ولكن بشرط أن تذهب معهما؛ فقد كانت ريماس الابنة الوحيدة لرانيا، دلفوا باحَات الأهرامات، أخذوا جولة، وعندما رأت ريماس الجِمال والخيول التي تؤجَّر للسائحين قالت:

-أريد أن أمتطي جملًا.

قال شادي موجه حديثه لرانيا:

-ما رأيك؟

قالت:

-لا أمانع.

فقال شادي:

-حسنًا انتظرا إلى أن أذهب لصاحبه.

ذهب إلى الرجل مؤجِر الجِمال والخيول وقال:

-نريد أن نستأجر جملًا وحصانًا.

نظر الرجل في ساعته وقال:

-لا يوجد جِمال الآن، سيأتي سائح بعد قليل، تنتظره أم تأخذ حصانين.

-لا، الجمل أهم من الحصان.

قال ذلك واتجه إلى ريماس ورانيا وقص لهما ما قاله له الرجل، فقالت رانيا :حسنًا، الآن نقعد مع ريماس لترسم، وبعدما تنتهي نأتي حتى لا نضيّع وقتنا.

أومأ شادي وريماس برأسيهما موافقَين على الاقتراح، جلسوا في مكان يوازي الأهرام وتمثال أبي الهول، انتقته ريماس بتلك الزاوية التي تريدها للرسم وجلسوا الثلاثة على بساط بسطته رانيا على التراب، وارتدوا قبعاتهم

لتقيهم من حرارة الشمس الحادة، أخرجت رانيا لريماس كراستها وأدوات رسمها فأخذتهم ريماس وشرعت في ترتيب أدواتها وفي الرسم، بينما ظل شادي ينظر إلى الأهرام بإعجاب شديد وهو يرى عظمة تلك الحضارة الشامخة التي أذهلت العالم بأسره وجعلته حائرًا أمام لغز هذه العظمة الباقية منذ قرون ولم تندثر مثل الحضارات الأخرى الحديثة التي لم تستطع الصمود أمام تغيرات الزمن، تلك هي الحضارة التي تبهره وآخذة حيزًا كبيرًا من تفكيره، أخرج هاتفه ونهض ليلتقط عدة صور بزوايا مختلفة، وعاد إلى مكانه ثانية، نظر في ما ترسمه ريماس وقال:

-رائع، أكملي.

ابتسمت ريماس وهي ترسم، حتى جاءت عند أنف أبو الهول وقالت:

-أمي، لماذا أنف أبو الهول مُحطّمة هكذا؟

قالت رانيا:

-عندما جاء الاحتلال الفرنسي إلى مصر حطمها هكذا زعيم الاحتلال نابليون بونابرت.

انتظر شادي إلى أن أنهت ما تقوله، وقال:

-ما قُلتِه هو الذي يعتقده معظم المصريين، ولكن توجد رواية أخرى أمِيل لها أكثر، يُقال أنه تم العثور على رسومات لأبي الهول قبل مجيء الاحتلال الفرنسي بحوالي ٦٠ عام، وكانت أنفه مُحطَمة.

قالت ريماس:

-إذن من الذي حطمها؟

قال شادي:

-الذي حطمها رجل دين مُسلم يسمى صائم الدهر، وتم إعدامه بتهمة تخريب الملكية العامة.

ابتسمت رانيا وقالت:

-ريماس تقول أنك شاطر في دراستك وتحب تاريخ الفراعنة، ولكن لا أعلم أنك متعمق فيه هكذا.

ابتسم شادي وقال:

-لأنها حضارة عظيمة استوقفتني عندما قرأتُ عنها.

*****

جلست مروة عاقدة ذراعيها مستندة بهما على طاولة في أحد النوادي تمام الساعة الرابعة عصرًا، كانت قد اتفقت على ذلك المكان وهذا الموعد هي ومصطفى، كانت مرتدية تنورة جينز زرقاء وسترة سوداء وطرحة متداخل بها ألوان كثيرة، تلك الألوان كانت قالتها لمصطفى ليعرفها بها، أما هي فتعرف شكله من صوره الشخصية على حسابه في الفيس بوك، دقائق قليلة وأتى مصطفى، رآها من الخلف، ابتسم واتجه إليها، عندما جاء خلفها قال مداعبًا بصوت عالٍ:

-يا رب أجدها تُشبه منى ذكي.

ابتسمت عندما سمعت صوته لأول مرة في الواقع، ونظرت له ضاحكة وهي تقول:

-لا تُشبهها.

جذب مقعدًا وجلس قبالتها، وقال:

-بل أجمل منها.

ابتسمت لهذا الإطراء، وقالت بخجل:

-سنبتدئها بالكذب أم ماذا؟

ضحك قائلًا:

-والله لم أكذب ولم أبالغ، أنا الآن أراكِ أجمل امرأة بالعالم.

كانت على قدر من الجمال، ولكن ليست صارخة الجمال كما يوضح... ولكن العيون العاشقة ترى ما لا يراه غيرها.

أما هي فاحمرت وجنتاها من الخجل، وغيرت دفة الحديث وقالت وهي تعبث بيد حقيبتها:

-جئت أنا قبلك، يصح ذلك؟!

-لا، فقد كنت أبتاع لكِ ور...

وقفت الكلمة في حلقه واتسعت عيناه ذهولًا عندما تذكر أمر الوردة التي وضع ساقها في جيبه الخلفي حتى يفاجئها ؛فقد جلس على الوردة، قال متأثرًا:

-ياللغباء، لقد ضاعت أجمل لحظة سنتذكرها طوال حياتنا.

نهض وأخرج الوردة مُحطَّمة من جيبه، انفجرت مروة ضاحكة وقالت:

-لا تقلق، لن ننساها تلك اللحظة، سأسميها موقعة الوردة.

ضحك وهو يعطيها لها وقال:

-ذلك حظك، يبدو أنك منحوسة واستطرد بجدية:

-متى سآتي بيتكم؟

هزت مروة كتفيها وقالت:

-وقت ما تريد أخبرني. وأردفت: سآخذ ميعاد من عمي وزوج أختي.

-أخبرهم اليوم.

أخرج هاتفه، واستطرد: بدلًا من ذلك أعطني رقم هاتف عمك.

أخرجت هاتفها وبحثت عن رقم عمها حتى وجدته وأملته له، كتب مصطفى الرقم وقال:

-ما اسمه؟

-جمال نصر.

فأجرى الاتصال بعمها في الحال، وضع الهاتف على أذنه وانتظر قليلًا، ثم قال:

- السلام عليكم.

ابتسمت مروة متفاجئة بذلك، كانت تظنه سيهاتفه في وقت آخر.

قال مصطفى:

- معي جمال نصر عم الأستاذة مروة محمد نصر؟

انتظر قليلا وقال وهو مُبتسمًا وينظر لمروة:

- كل خير وأردف قائلاً أريد خِطبة مروة وأعطتني رقم هاتفك آخذ ميعاد بمقابلتك

انتظر قليلاً وقال:

- اسمي مصطفى سالم، متخرج من كلية التجارة وأعمل موظف في البنك العربي الأفريقي

صمت قليلاً وأومأ برأسه وقال:

- حسنًا

وصمت هنيهة وقال:

- وداعًا

وصمت هنيهة وقال:

-وعليكم السلام.

أغلق معه ووضع الهاتف أمامه على الطاولة وجلس بأريحية أكثر، وقال مبتسمًا:

-سآتي عِند عمك مساء الجمعة يراني هو أولًا إن كنت مناسبًا أم لا.

ابتسمت مروة وقالت:

-مناسبًا بالتأكيد.

*****

مرت مروة على عالية في بيتها، جلست معها في حجرتها وقصت لها ما حدث في مقابلة مصطفى اليوم، ابتسمت عالية وقالت:

-أثبتَ لي مصطفى عكس ما كنت أظنه، إنه رجل حقًا، وقلَّما تجدي رجلًا تلك الأيام، الله يسعدكم.

قالت مروة مبتسمة:

-وإياكِ. واستطردت: ألا يوجد أخبار عن فارس؟

قالت عالية بشيءٍ من الحزن:

-ما زال لم يمر أسبوعًا على مُقابلتنا، ولكني أشعر أنه سيعيد نظره مرة ثانية ويفكر جيدًا ولن يقبل بمُطلقة، خصوصًا أنه أعزب، بالتأكيد شهد أخبرته أنني مُطلقة.

عقدت مروة حاجبيها وقالت:

-لن تتغيري يا عالية، أما زِلتِ تفكرين بتلك الطريقة؟!

-لا أريد أن أعلق نفسي بوهم وأظل أنتظره، ومن الممكن أن لا يأتي.

-معكِ حق، لا تنتظري مجيئه حتى لا تصابي بالخيبة إن لم يأتِ. صمتت قليلًا واستطردت:

لا تجعلي حلمك رجلًا من الأساس وتنتظري تحقيق هذا الحُلم، تميزي في عملك، اقرأي وسافري بخيالك إلى بلادٍ أخرى، اخرجي في نزهة وحدكِ، صوري أشياء لا معنى لها، ارسمي لوحات لا يفهمها إلا أنتِ، اكتبي ما تشعرين به، اصنعي مشغولات صوفية بيديكِ، المهم أن لا تستسلمي للوحدة أبدًا أو تجعلي حلمك رجلًا؛ لكي لا تعيشي تعيسة.

*****

-ألا يوجد لديكَ عرض عمل؟

قالها فارس مداعبًا وهو يهاتف صديقه حسن، ضحك حسن وقال:

-انتهت أموالك سريعًا هكذا؟!

-أوشكت على الانتهاء.

-ما رأيك إن عملت معي في الصيدلية؟

قال فارس مداعبًا:

-ذلك العمل لا يناسبني إطلاقًا، لا أفهم خط الأطباء، كيف أجلب للمرضى أدويتهم؟ سأمرضهم أكثر هكذا.

ضحك حسن وقال:

-حسنًا، إن وجدتُ عملًا يناسبك سأقول لك، وأنت ابحث عن عمل أيضًا.

-حسنًا، ألن تأتي اليوم؟

-سآتي التاسعة مساءً؛ لأن شريف سيتأخر.

*****

مرت أيام...

نظر شادي في ساعة الحاسوب وجدها الحادية عشر مساءً؛ فنهض يتمطى بملل، نزع الفيشة من المقبس دون أن يغلقه بطريقة صحيحة، وخرج ليجلس بجوار أمه وأبيه الذين كانا يُشاهدان التلفاز.

قال:

-أي فيلم هذا.

أخبرته أمينة، فأومأ برأسه وتابع معهما في صمت حتى جاء مشهد غير لائق أن يُعرض على شاشة تلفاز تراه أُسَر بأطفالها ومراهقيها ويخدشون حيائهم بهذه الطريقة السيئة، فنظر شادي سريعًا إلى رؤوف وقال:

-أبي، سأذهب إلى فارس غدًا.

حول رؤوف عن تلك القناة، ونظر له وقال:

-فارس يعمل الآن أم لا؟

هز شادي كتفيه وقال:

-لا أعلم، ولكن الأجازة مملة وأريد أن أخرج لأي مكان جديد.

قالت أمينة:

-إنك تخرج كل يوم مع أصدقائك وتغيب بالساعات.

قال شادي:

-كل يوم نذهب إلى نفس المكان ونلعب كرة القدم، ولا أريد أن أضيع الأجازة كلها في اللعب، أريد أن أذهب إلى فارس وأستعير منه بعض الكتب.

قال رؤوف:

-حسنًا، وقُل له أن يأتي؛ لم أره منذ أكثر من أسبوعين.

قالت أمينة:

-أتى مرتين وكان يصادف أنك مُطبّق في العمل. واستطردت موجهة دفة الحديث إلى شادي:

-اذهب له وتعالا سويًا.

أومأ شادي برأسه وقال:

-حسنًا، سأقول له ذلك.

*****

اتجه شادي إلى فارس بعد أن علم أنه في البيت الآن باتصال مُسبَق، طرق الباب ففتح له فارس وقال وهو ينظر في ساعته:

-ادخل، ظننت أنك لن تأتي، كنت سأنزل بعد قليل.

دخل شادي وهو يقول:

-الحمد لله أنني لحقت بك، جاء لي صديق عطلني.

أغلق فارس الباب، وجلس شادي على الأريكة وقال:

-كنت ستذهب إلى أين؟

-إلى أي مكان، لست محددًا.

قال ذلك وجلس جواره وقال:

-كيف حال أمك وأبيك؟

-بخير يريدون رؤيتك، وأمي قالت لي أن نعود أنا وأنت.

أومأ فارس برأسه وقال:

-وما سبب زيارتك إذن؟

-أريد بعض الكتب والروايات لأقرأهم في الأجازة المُملة تلك، رشح لي الجيد فيما قرأت.

قال فارس:

-الجيد بالنسبة لي من الممكن أن يكون سيئًا بالنسبة لك، تلك المسألة نسبية. واستطرد وهو يشير على حجرته:

-عندك المكتبة في تلك الحجرة خذ منها ما تريد، ولكن إياك أن تضر أي كتاب، كما تعلم أحب كتبي.

قام شادي وقال:

-لا تخف، أعلم ذلك وأني من الأساس أحافظ على الكتب وأستخدم علامات مرجعية.

-حسنًا خُذ ما تريد.

دخل شادي الحجرة وأضاء المصباح وفتح المكتبة التي بها كتب وروايات في شتى المجالات.

ظل يقلب وينتقي العناوين التي تجذبه، فقال وهو أمامها بصوت مرتفع؛ ليسمع فارس في الخارج الذي يعبث بهاتفه:

-أنت تمتلك كنزًا يا فارس.

قال فارس وهو مازال يعبث بهاتفه:

-أعرف، بإمكانك أن يكون عندك مثله.

أخذ شادي ثلاثة كتب وأربعة روايات، وقال وهو يحملهم على ذراعيه ومتجه إلى فارس:

-أقرأ الآنPdf ، عندما أتخرج وأعمل سيكون عندي مثله وأكبر، أنا الآن آخذ مصروف، وهو لا يكفي لشراء الكُتب القيمة.

وضعهم على طاولة وقال:

-لو تريد الذهاب إلى أي مكان اذهب وأنا سأعود إلى البيت.

توقف فارس عن النظر في الهاتف، ورفع رأسه إلى شادي رافعًا أحد حاجبيه وقال:

-انتهت مصلحتك؟!

زم شادي شفتيه وقال:

-أتعلم؟ أنا أريد أن أجلس معك أو أذهب معك إلى أي مكان، ولكني عندما جئت قُلتَ إنك كنت ستنزل ولا أريد أن أقيد حريتك.

-إذن هيَّا بنا نتجه إلى أي مكان ونعود إلى البيت عند أمك سويًا.

قال شادي متحمسًا:

-هيَّا.

*****

في اليوم التالي عادت عالية من عملها طرقت باب بيتها طرقتين، فتحت لها سناء وهي تقول بسرور:

-عندي لكِ خبر سار، جاء لكِ عريس مناسب جدًا.

دخلت عالية وقالت مسرورة:

-عريس؟! ما اسمه؟

قالت سناء وهي تغلق الباب:

-اسمه عبد العزيز مُطلِّق وعنده طفلة، ولكنها تعيش مع طليقته.

تلاشت ابتسامة عالية وقالت بخيبة:

-عبد العزيز!

فقد كانت تظن فارس هو العريس.

قالت سناء:

-تلك فرصة لن تعوض، عمره ثلاثون عامًا، يعني متقارب جدًا من عمرك وظروفه مناسبة لظروفك، لا ترفضي تلك المرة بالله عليكِ.

أومأت عالية برأسها، وقالت بخيبة أمل:

-سأفكر.

قالت ذلك ودلفت حجرتها.

فقالت سناء وهي تنظر لها:

-هداكِ الله يا بنيتي وتوافقين.

*****

-ما عملك الآن؟

قالها رؤوف لفارس أثناء تناولهم طعام الغداء.

مضغ فارس ما في فمه وقال:

-منذ فترة وأنا بلا عمل، ولكني سأعمل من الغد مندوب لشركة أدوية تتعامل مع حسن صديقي.

أومأ رؤوف برأسه مستسلمًا وقال:

-وفقك الله.

وضعت أمينة كوب الماء أمامها بعدما ارتشفت منه وقالت:

-ما قصة المُطلقة التي تريد خطبتها، شهد قالت لي منذ فترة ونسيت أن أسألك.

توقف رؤوف عن تناول الطعام وقال:

-مُطلقة؟!

مضغ فارس ما في فمه، وقال بابتسامة ساخرة:

-قُلتي يا أمي ما قصة المُطلقة ورددها أبي باستغراب مُطلقة؟! وكان من المفترض أن تقولي ما قصة الفتاة التي تريد خطبتها، لماذا تتعاملون مع كلمة مُطلَّقة وكأنها ديانة أخرى مثلًا، إنها فتاة مثل أي فتاة.

فقال رؤوف:

-حتى في الزواج ستكون تفكر بطريقة أخرى، أنت أعزب لماذا تتزوج من مُطلقة؟!

كان شادي يأكل ومتابع حديثهم في صمت، قال فارس وهو يتناول طعامه وينظر في طبقه:

-ما زلتُ لم أحسم أمر الخطبة، ولكن ليست مُطلَّقة هي العائق، لا يشغلني هذا الموضوع من الأساس.

تدخلت أمينة قائلة:

-لماذا لا تحسم الأمر؟ أريد أن أفرح بك وبعروسك، قرر أنك تتزوج وسأجلب لك مائة عروسة إن صرفتَ نظر عن المطلقة.

عقد فارس حاجبيه وقال:

-كنت لا أظنك تفكرين هكذا يا أمي.

قالت أمينة : -لا أقصد ما فهمت، أنت تقول أنك ما زِلتَ لم تحسم الأمر، معنى ذلك أنك من الممكن أن تكون ستصرف نظر عن الزواج الآن، أما أنا لا يهمني إن كانت عروسك مُطلقة أم آنسة، كل الذي أتمناه أن تتزوج وأرى ذريتك وتكون سعيدًا في حياتك.

فقال فارس مبتسمًا - :هذا ما عاهدته منك.

*****

جلست مروة مرتدية رداء ذهبي اللون من السِّتان وحجاب مزركش واضعة بعض المساحيق على وجهها، وكان مصطفى جالسًا بجوارها مرتديًا حُلة أنيقة وتعتلي شفتيه ابتسامة واسعة؛ لسماع صوت الزغاريد والغناء؛ فقد جاء مصطفى وقابل عمها في بيته أولًا، ثم هو وأهله في شقة مروة، وتمت الاتفاقات وقراءة الفاتحة، وكان اليوم حفل خطبتهم في شقة مروة.

جمع الحفل أهل العروسين وبعض أصدقائهم، كانت عالية توزع عليهم أطباق الحلوى وهي مسرورة لسرور صديقتها، تلك الفرحة كانت تحتاجها فقد شغلتها عن تفكيرها وهذا ما كانت تحتاجه، فتلك الفترة كانت ستُجنّ من كثرة التفكير، وفي حيرة بين أمر أن تنتظر فارس أو توافق أن تقابل العريس الذي قالت لها أمها عنه، مرت خمسة أيام وحتى الآن معلِّقة أمر دخوله بيتهم؛ لأنها لا تعرف فارس سيأتي أم لا؟ وتخشى أن ترفض مقابلة عبد العزيز فلا يأتي فارس وتخسر تلك الفرصة.

*****

أخرج شادي ظرفًا من درج مكتبه مبتسمًا كان قد وضعه مساء أمس عندما جاء من الخارج، فتح الظرف وأخرج منه صورة له هو وريماس، وأخرج بقية الصور، كانا قد أخذا تلك الصور عندما ذهبوا إلى الأهرامات، ظل يقلب في الصور وابتسامته تتسع حتى وضعهم في الظرف كما كانوا واتجه إلى باب الشقة، فتلك هي الحجة التي سيرى بها ريماس في وقت العطلة تلك.

رأته أمينة وهو يفتح باب الشقة فقالت:

-شادي، ذاهب إلى أين؟

نظر لها شادي وقال:

-عند ريماس، سأريها شيئًا.

-لا تتأخر.

أومأ شادي برأسه وقال وهو يغلق الباب خلفه:

-حسنًا.

*****

طرق شادي باب بيت ريماس المقابل لباب شقتهم، فتحت له رانيا، فتنحنح شادي وقال:

-أين ريماس؟ أريد أن أريها صورنا يوم أن ذهبنا إلى الأهرامات؛ فقد طبعتُ نسخًا لهم من الهاتف في الاستديو.

سمعت ريماس صوت شادي فجاءت، قالت رانيا:

-ها هي ريماس، ادخل.

قالت ذلك واتجهت إلى حيث كانت تجلس أمام التلفاز.

دخل شادي، فأشارت ريماس على أقرب أريكة وقالت:

-اجلس.

جلس وأخرج الظرف الذي به الصور وقال:

-اجلسي لتري، هذه صورنا في الأهرامات.

جلست جواره وأخرج شادي الصور، كانت أول صورة وهي مُمتطية جمل وهو جوارها يمتطي حصان، وأخرى وهي ترسم وحدها، وأخرى وهي واقفة تمسك لوحتها وخلفها المنظر الذي رسمته، وأخرى هي وأمها وشادي في صورة جماعية الْتقطها شادي بالعدسة الأمامية للهاتف، ظل يقلب حتى انتهت الصور؛ فأخذتهم ريماس من يده وقالت بسرور:

-سأريهم لأمي.

أومأ شادي برأسه، وقال مبتسمًا:

-حسنًا.

أخذتهم ريماس واتجهت إلى أمها في ذات الحجرة بعيدًا أمام التلفاز وقالت:

-انظري يا أمي، جميع الصور جميلة.

أخذتهم رانيا وهي تقول مبتسمة:

-أريني.

ظلت تقلبهم حتى انتهوا، فقالت مبتسمة:

-حلوين كثيرًا.

أخذتهم ريماس وهي تقول:

-سأجعله يطبع لي نسخًا مثلها.

واتجهت إلى شادي الذي نهض وقال:

-سأذهب أنا، أتريدي شيئًا؟

فقالت ريماس:

-أحتاج صورًا مثل هذه.

-هذه ملكك، أنا طبعتهم لكِ.

ابتسمت ريماس وقالت:

-حقًا؟!

أومأ شادي برأسه مبتسمًا وقال:

-حقًا.

قال ذلك واتجه إلى الباب، فقالت ريماس:

-انتظر سأجلب لك شيئًا.

اتجهت إلى مطبخهم وخرجت تحمل بيدها قطعة شكولاتة، أعطتها له وقالت:

-تلك شكولاتة لذيذة جدًا، جاء عمي من السفر وجاء عندنا أمس وجلبها لنا.

قلبها شادي في يده مبتسمًا رأى منشأها "نيو جيرسي"

فقال:

-عمك يقيم في أمريكا؟

أومأت ريماس برأسها وقالت:

-نعم، أتمنى أن أذهب إلى أمريكا يومًا، إنه يقول أنها بلد رائعة.

فتح شادي الباب وهو يقول:

-عندما تكبرين ستذهبين لها وترسمين تمثال الحرية وتريني الرسمة.

خرجت العبارة منه تلقائيًا؛ فقد يعتقد الصغار دائمًا أنهم عندما يكبرون سيفعلون كل شيء.

*****

-لا أفهم يا عالية لماذا حتى الآن غير موافقة أن يأتي عبدالعزيز، قُلت لكِ مرارًا أن تلك فرصة لن تعوّض، ولكن بلا مبالاتك تلك سيطفش قبل أن يأتي، أتظنين أنه ليس عنده كرامة مثلًا؟!

قالتها سناء بانفعال لعالية فور انتهاء الأسرة جميعًا من تناول طعام العشاء، أغمضت عالية عينيها وفتحتها وهي تزفر بضيق من ذلك الموضوع، وقالت:

-قُلت لكِ يا أمي أني حاليًا لستُ متهيئة نفسيًا لذلك الموضوع.

فقال عزت - :لماذا يا عالية؟! إنها حقًا فرصة لن تعوّض؛ مُطلق وقريب في السن منك، وعنده ابنة تعيش مع طليقته، صراحة أمك معها حق.

-حتى أنتَ يا أبي؟!

قالتها عالية بانكسار، واستطردت:

-أنا أقول دائمًا أنك أنت الوحيد الذي تفهمني.

قال عزت - :لأن تلك المرة ليست ككل مرة، والعريس مناسب وأنا لا أريد سوى الاطمئنان عليكِ.

خرج سامح عن صمته وقال:

-صراحة أرى أن أمك وأباكِ معهما حق.

فقالت سناء:

-اسمعي.. إذا كنتِ لا تريدين أن تريه قولي لنقول له ويرى هو حاله، لا يصح أن نعلّقه هكذا أكثر من أسبوع.

قالتها سناء لتضغط على عالية وتجعله يأتي وتراه، ولكنها فوجئت بعالية تقول:

-حسنًا، قولي له يرى حاله كما تقولين، وأني غير موافقه أن يأتي.

قالت ذلك ونهضت، اتجهت إلى حجرتها... دلفت وأغلقت الباب خلفها وتركت أمها تضرب أخماسًا في أسداس، فقالت سناء موجهة حديثها إلى عزت بضيق:

-رأيت آخر تدليلك لها؟

فقال سامح:

-أمي، أنتِ تؤمنين بالقضاءِ والقدر؟!

قالت سناء:

-بالتأكيد.

فقال سامح:

-إذن لابد أن تكوني على اقتناع تام أن قدرها سيأتيها لا مفر، لا تشغلي رأسك.

قال عزت - :ليت أمك تفهم ذلك.

*****

بعد أن أغلقت عالية باب حجرتها خلفها واستلقت على سريرها على أحد جنبيها متقوسة ظلت عيناها مفتوحتان دون أن تبكي تلك المرة، فقد سقط ثقل هذا العالم من فوق عاتقها، الأمر المُحير الذي كانت فيه قد اتخذت قرارًا لتنهيه سمعت جملة أخيها في الخارج "إذن لابد أن تكوني على اقتناع تام أن قدرها سيأتيها لا مفر" تلك الجملة جعلتها تزفر في راحة قبل أن تخلد إلى النوم.

*****

مرت الأيام وتوالت الشهور، قد تتسألون كيف مروا؟! ولكنهم مروا كأي شيء يمر.

ركن فارس سيارة الشركة في الجراج الخاص بها.

كانت الساعة التاسعة مساءًا خرج من الجراج بعدما حيّى السائس، سار على غير واجهة حتى لقي مقهى ؛فجلس على أحد المقاعد أمام طاولة وعقد ذراعيه أمامه ودفن رأسه بهما يفكر في ما آلت إليه حياته، أصبحت نمطية والروتين عنوانها، لم يكن ذلك يروقه أبدًا؛ يبيت معظم الأيام في بيت أبيه ويضطر للجلوس مع أقاربه وضيوفهم، ولم يكن يحب تلك الأجواء البتة، كان يفعل ذلك من أجل التوفير للزواج من عالية، كان يهيئ نفسه للذهاب لخطبتها وحسب، لا يعلم لمَ تركها جميع الأيام الماضية دون أن يخبرها ما ينويه، يعترف الآن بينه وبين نفسه أنه مخطئ، كان لا يفهم نفسه أحيانًا.

*****

-وحتى الآن لم يأت ولا أي شيء، أمرها محيرني جدًا، فكيف بها هي؟!

قالتها مروة وهي تحدث مصطفى خطيبها في شرفة بيتهم، وضع مصطفى كوب الشاي فوق الصينية بعدما ارتشف آخر رشفة، وقال:

- تقولين أنه قال لها أنه يحبها قبل أن يراها، وأنها أحبته منذ أول لقاء وأن قصة حبهما غريبة، لا أرى أنه تخلى عنها لمجرد كونها مُطلقة، يوجد شيءٌ غامض في ذلك الموضوع.

صمت هنيهة وأكمل مترددًا: أيمكن أن يكون حدث له شيء؟!

-لا أظن ذلك؛ فإني أحدث سيمازا شقيقته كل فترة لكي تقول لي شيء عنه وعن ما نواه أو ما ينويه، ولكنها لا تقول شيئًا، وأنا لا أقول أي شيءٍ عن عالية امتثالًا لرغبتها، هي ترى أنني لو سألت سيمازا عن ما نواه أخوها أنها بذلك تكون سلعة زهيدة وتتبدَّد كرامتها.

زم مصطفى شفتيه وقال:

-لا أرى كرامة ستتبدَّد إن تحدثتِ إلى شقيقته في ذلك الموضوع، بل العكس، ستريحين صديقتك من عناء التفكير في ما ينويه.

-قُلت لها مرارًا ولم ترضَ، ولا أريد أن أفعل ذلك دون علمها فأكون بذلك أعرّضها لموقف مُحرِج.

-اسمعي لا يوجد أي شيء، حدثي شقيقته دون علمها واعلمي كيف ستسير الأمور، خمسة شهور كثير، لابد أن عالية تعلم ما ينويه.

-هي لا تقول عنه أي شيء، وترى أنه لو كان محبًا لأتى، وتزعم أنها لا تهتم بهذا الموضوع، ولكني أشعر بها وأعلم أنها رغم كل تلك الأيام مازالت تفكر وتنام كل يوم باكية.

-مروة.

قطعت والدتها حديثهما بذلك وهي جالسة في الحجرة قبالتهما على مقربة منهما تشغل بيدها سترة من الصوف لحفيدها.

قالت مروة:

-مريني يا أمي.

-اجلبي لي كوب ماء من فضلك.

فنهضت مروة لتجلبه على الفور.

*****

جلس شادي في فناء المدرسة منتظرًا نزول ريماس من فصلها ليعودا للبيت سويا، كان ذلك أول يوم دراسة لهم بعد انتهاء العطلة الدراسية، أصبحا في الصف الثالث الإعدادي، دقائق ونزلت ريماس وهي تعدِل حجابها، ابتسمت وهي مُقبلة عليه، ابتسم شادي هو الآخر وقال:

-تبدين جميلة بالحجاب.

توردت وجنتا ريماس من الخجل، وابتسمت وهي تزدرد ريقها، فنهض شادي وسار جوارها وهو يقول:

-كيف كان اليوم؟ الجدول مُريح؟

قالت ريماس وهي تومئ برأسها:

-جيد.

-أشعر وكأننا دخلنا مرحلة جديدة رغم أننا مازلنا في المرحلة الإعدادية.

-وأنا أيضًا، أتعرف.. كنت أظنك لن تنتظرني اليوم.

قال شادي باستغراب:

-لماذا؟!

هزت ريماس كتفيها وهي تقول:

-لا أعلم، مجرد إحساس. صمتت قليلًا وأردفت :الحجاب وكلمة الصف الثالث الإعدادي جعلوني أشعر أنني كبرتُ وأننا لم نعد اطفالًا، أليس كذلك؟

ابتسم شادي وقال:

-وما علاقة أننا لم نعد أطفالًا بانتظاري لكِ؟!

-كنت أفكر أن ذلك لن يروقك، وأنك تريد أن تسير مع أصدقائك ؛لأن أمي لم توصيك عني اليوم.

رفع شادي أحد حاجبيه، وقال بتعجب:

-أنتِ تظنين طوال تلك السنوات أني أنتظرك امتثالًا لأمر أمك وحسب؟!

-أجل.

كررها شادي رافعًا حاجبيه في دهشة:

-أجل؟!

-ماذا بك؟

حرك شادي كفيه كأنه سيشرح أمرًا ما، فتاهت الحروف من فمه، فقال بعفوية:

-ريماس، أنتِ ستظلين طفلتي، حتى عندما ندخل الجامعة سأنتظرك بعد أن تنتهي مُحاضراتي.

عقدت ريماس حاجبيها وقالت:

-أن تراني دائمًا طفلة هذا حلو أم سيء؟!

ضحك شادي وقال:

-بالنسبة لي حلو.

ابتسمت ريماس وقالت:

-إذن ولنفترض أن محاضراتي تنتهي قبل محاضراتك.

-لن يحدث شيء، لن أحضر المحاضرة الأخيرة لأنتظرك أنا كما أفعل دائمًا.

*****

وقف شادي حتى دلفت ريماس منزلها، فطرق هو باب منزله، فتح له فارس والمنشفة على كتفه ويبدو عليه أثر النوم، فقال شادي:

-صباح الخير حسب التوقيت المحلي لاستيقاظك.

قفل فارس الباب وهو يقول:

-صباح الخير، كيف الصف الثالث الإعدادي؟

-اليوم كان فوضى، تسلمت الكتب والجدول فقط، سأعرف في نهاية الأسبوع كيف هو وأقول لك.

-اتفقنا.

قالها فارس واتجه إلى حجرته، فرش مصليته وأدى فريضة الظهر، وخرج بعد قليل وجد أمه أعدّت الطعام له وتنتظره، جلس أمام المائدة قبالة أمه وشرع في تناول الطعام، مضغ اللقمة التي في فمه وقال:

-نويتُ أن أخطب.

وعاد إلى تناول الطعام ثانية، نظرت له أمينة وقالت مسرورة:

-تتكلم جد؟

غمز لها فارس وهو يقول:

-ماذا لو أتكلم جد؟!

-سيكون يوم المُنى.

-إذن هذا الأسبوع سيحتوي على يوم المُنى.

-ومن هي سعيدة الحظ؟

-اسمها عالية.

قالت أمينة مبتسمة وهي تشير بسبابتها وإبهامها في الهواء:

-فارس وعالية اسمان متناغمان. واستطردت: الله يسعدك يا حبيبي.

ابتسم فارس وقال:

-سأذهب أولًا لمقابلة أبيها وأسرتها، وإن تمت الموافقة ستأتي معي أنتِ وأبي؛ لتتم باقي الاتفاقات.

-حسنًا، سيفرح أبوك كثيرًا بهذا الخبر السار.

-لا أظن ذلك.

عقدت أمينة حاجبيها وقالت:

-لماذا؟!

-تتذكرين قصة الفتاة المُطلقة التي أعرض عنها بقوله أني أعزب لماذا أتزوج مِن مُطلقة؟ ها هي عالية المُطلقة تلك.

-هذا كان رأيه لا أكثر، لكنه يحبك ويريد أن يراك سعيدًا في حياتك.
-أعرف ذلك، ولكن العُرف يسيطر عليه كثيرًا.

*****

بعدما انتهى فارس من تناول طعامه ارتدى سرواله الجينز وقميصه ونزل للعمل، فقد كانت فترة عمله مسائية، ألقى نظرة على جدول اليوم وجدَ صيدلية حسن صديقه ضمن طلبيات الأدوية، استقل السيارة واتجه إليها، وقف أمام الصيدلية وضغط على بوق السيارة يعطي إشارة لحسن بقدومه، نزل من السيارة وخرج حسن، صافحه وأخذ منه الأدوية.

فقال فارس:

-سأبيت في الشقة الليلة بعد انتهاء العمل، تعالَ أريدك في أمر هام.

-حسنًا، سآتي بعد انتهاء العمل.

استقل فارس السيارة وأشار له بيده، بادله حسن الإشارة ودلف إلى الصيدلية.

*****

وقفت عالية على قارعة طريق تنتظر مروة صديقتها ليبتاعا عدة أشياء يحتاجانها، كانا قد اتفقا أن يتقابلا في ذلك المكان، أخرجت عالية هاتفها من حقيبتها نظرت في ساعته وجدت مروة قد تأخرت قليلًا، فاتصلت عليها تتعجلها، انتهت المكالمة ولم تُجِب ؛فعاودت الاتصال ثانيةً سمعت رنين هاتف مروة وهي واقفة، نظرت باتجاهه وجدتها قادمة وهي تقول:

-يعني أفتح المكالمة؟!

ضحكت عالية وقالت:

-لن تكوني مروة إن جئتي مرة في تمام موعدك.

سارت مروة جوارها وهي تقول:

-هذا افتراء، كثيرًا ما آتي في موعدي، حتى مصطفى يمدح في مواعيدي كثيرًا ويقول أنني دقيقة.

أومأت عالية برأسها، وقالت مداعبة:

-حسنًا يا آنسة دقيقة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنك تتأخرين عليَّ فقط، يا للأسف على الصداقة.

قالت مروة بجديَّة:

-بمناسبة الصداقة، أمس تذكرت سيمازا، سأحدثها وأسألها عن فارس كأنك لا تعلمين شيئًا و...

قاطعتها عالية وقالت:

-لا يا مروة لا تفعلي ذلك، أنا نسيت الموضوع من الأساس؛ فقد مرت أشهر.

-عالية، يمكنك أن تكذبي على أي شخص غيري، أنا أعرف أنك ما زلتِ تفكرين في فارس.

-لا، لا أفكر فيه، وقررت أن أوافق على أي رجل مناسب؛ فقد أضعت الكثير من الفرص.

قالت مروة غير مقتنعة:

-أتمنى ذلك.

*****

وقف فارس أمام المربع المدون على الحائط أمام الوجه الذي يراه وقال:

-أنا مخطئ جدًا، ونادم جدًا، وخائف جدًا جدًا، وأريد أن آتي إلى بيتك الآن لأطلب يدك.

نظر في ساعته وقال: ولكن الوقت متأخر.

ثم صمت قليلًا :فقد لمعت فكرة في رأسه، فاستطرد: ليس متأخرًا كثيرًا، إنها الثامنة والنصف مساءً، لن يحدث شيء إذا أتيت الآن.

قال ذلك واتجه إلى حجرته، أخرج ملابسًا أنيقة ارتداها ووقف أمام المرآة يصفف شعره وارتدى ساعته في شماله، وأمسك زجاجة عطر تعطَّر ونظر في المرآة، ابتسم ابتسامة رضا عن نفسه الآن.. اتجه إلى الصالة... التقط مفاتيحه وهاتفه وخرج وأغلق الباب خلفه، وهاتَفَ حسن صديقه وهو يهبط الدرج، فتح حسن المكالمة، فقال فارس:

-أين أنت؟

-أُنهي بعض المهام في الصيدلية وقادم.

-أمامك كثير من الوقت؟

-تقريبًا نصف ساعة.

-حسنًا يمكنك التأخر إن أردت، أنا ذاهب إلى بيت عالية، افتح الشقة واجلس إلى أن آتي.

-هل جُننت، تذهب الآن؟!

ضحك فارس وقال:

-أجل، وهيَّا أغلق الآن حتى لا تؤخّرني أكثر من ذلك.

-حسنًا، سأنتظرك في الشقة أيها المجنون.

استقل فارس سيارة أجرة وذهب حيث عنوان عالية الذي كانت قد دونته له في الهاتف.

*****

ترجل من السيارة وأعطى السائق حسابه، وصعد العقار المراد، وقف أمام باب رقم الشقة قليلًا، نظر في ساعته وجدها التاسعة و 45دقيقة مساء، تسارعت نبضات قلبه ودق جرس الباب.

*****

كان يجلس سامح شقيق عالية بجوار أبيه يشاهدان قناة إخبارية، وسناء في المطبخ تعِد لهما شايًا، وعالية في حجرتها ممسكة بهاتفها تتصفح فيس بوك.

حين دق فارس الجرس قام سامح ليفتح فوجد فارس، صمت فارس قليلًا، ثم قال متلعثمًا:

-هذه شقة اااا....

لم يعرف اسم أبيها، فقال بثبات:

-هذه شقة عالية؟

فقالت سناء من الداخل:

-من بالباب يا سامح.

قال سامح وهو ينظر لفارس باستغراب:

-رجل يسأل عن عالية.

سمعت عالية من حجرتها ذلك، فعقدت حاجبيها وانتبهت لتسمع باقي الحديث، وقام عزت اتجه إلى الباب.

فقال سامح:

-ماذا تريد من عالية؟

-أريد أن أتزوجها.

كان قدِم عليهم، عزت فقال ضاحكًا - :تفضل يا بني.

ابتسم فارس بدوره، وأفسح له سامح الطريق وأغلق الباب.

فجلس فارس على أقرب مقعد.

وكانت عالية مازالت في حجرتها تحاول أن تسمع أي شيء، ولكنها كانت تسمع همهمة فقط، فعندما سمعت سامح أول مرة كان يقول بصوت مرتفع ليُسمع أمه.

طال انتظارها خلف الباب؛ فارتدت إسدال صلاتها وخرجت ترى ما الأمر، وجدت أمها وأباها وأخاها وفارس جالس بينهم يقول:

-وأعلم أن الوقت من الممكن أن يكون متأخرًا، وآسف لأني جئت بدون موعد مُسبق.

رأى عالية واقفة قبالته تكسو الدهشة ملامحها، فقال عزت:

-اجلسي يا عالية، إنه يريد خطبتك.

فقالت عالية وهي تنظر لفارس بتحدٍ:

-لست موافقة.

ابتسم فارس محرجًا، ثم هَمّ أن يقول شيئًا، فقالت سناء بصرامة:

-عالية اجلسي لا يصح ذلك.

قال فارس:

-اتركيها على راحتها، سأذهب أنا الآن وهي تفكر في الأمر بروية.

قام من مجلسه، فقال عزت:

-انتظر لتشرب الشاي معنا.

وضع فارس كفه في كف عزت وربّت بيده الأخرى عليه يحييه بود وهو يقول - :المرة القادمة إن شاء الله.

وحيّى سامح هو الآخر وقال:

-سلام عليكم.

ردوا جميعًا السلام عدا عالية، فقالت سناء بانفعال فور غلق سامح باب الشقة خلفه:

-هل جننتِ؟! لماذا رفضتيه قبل أن تتحدثي معه، أتعلمي ذلك الذي رفضتيه أعزب، ويعلم أنك مُطلقة ويبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا.

واستطردت وهي تبكي:

-لابد أن ترى حلًا في ابنتك الآن يا عزت.

*****

كان حسن ممددًا على أريكة في شقة فارس يعبث بهاتفه بين مواقع التواصل الاجتماعي، فسمع طرقات فارس، فقال من مكانه بصوت مرتفع مداعبًا:

-معك مفتاح، استخدمه.

أخرج فارس مفتاحه في استسلام وفتح الباب، حرك حسن هاتفه من أمام ناظريه وقال:

-ماذا فعلت؟

حين رأى وجه فارس العابث عقد حاجبيه وقال:

-ماذا حدث؟!

جلس فارس جواره يخلع حذائه، وقال:

-عالية قالت أنها ليست موافقة.

قلب حسن شفتيه متعجبًا وقال:

-كيف ذلك.

-أنا أعلم لماذا قالت ذلك، ولكنها ستوافق في النهاية، سأذهب لها غدًا في عملها أبحث عنها.

قالها فارس وهو ينهض ليضع حذائه في الجزامة.

قال حسن:

-ولماذا قالت ذلك؟

عاد فارس وهو يقول:

-سأقول لك، ولكن أعِدّ لي كوبًا من الشاي أولًا؛ لأني هالك جدًا.

نهض حسن وهو يقول مداعبًا:

-حسنًا، ولكني سأقول لك ملحوظة علّك لم تلحظها، أنا صديقك ولست صبي قهوة، ولم أحمل الجنسية الفلبينية بعد.

جلس فارس على الأريكة وعقد ذراعيه تحت رأسه ومدد جسده وهو يقول ضاحكًا:

-ملحوظة ذكية منك، سأضعها في عين الاعتبار.

*****

-صباحك نشاط، كان الله في عونك.

كانت تلك رسالة من مروة إلى مصطفى على هاتفه، حين دقّ هاتف مصطفى مُعلنًا عن قدوم رسالة ابتسم وهو يتناول طعام إفطاره؛ فقد علم أنها رسالة مروة اليومية بذات المحتوى تصبّح عليه وتدعو له قبل نزوله إلى العمل، أنهى طعامه في عجالة، وأمسك بهاتفه... فتح الرسالة وعلى شفتيه ابتسامة واسعة، وكتب "صباحي ابتسامة من صنعِكِ ككل يوم" وضغط إرسال.

رأته امه مبتسمًا هكذا، كانت جالسة قبالته تعدّ لفافات الطعام لشقيقته الذاهبة إلى المدرسة، فقالت مداعبة:

-أموت وأعرف ماذا تقول لك تجعلك تضحك كالأبله هكذا؟

ضحك مصطفى، وقام من مجلسه وهو يقول:

-تقول لي أحبك بلغة ثانية لا يفهمها إلا أنا.

ضبط ربطة عنقه وقال:

-سأذهب الآن، صباحكِ نشاط، كان الله في عونك.

قال ذلك وأعطاها قبلة في الهواء وغادر، فتمتمت أمه مبتسمة:

-أسعدك الله ووفقك يا بني.

*****

أعطى سامر صديق شادي العصا لمعلمه الذي كان كلّفه أن يجلبها له من أحد الفصول، وعاد إلى مكانه جوار شادي وقال فور جلوسه بصوت منخفض:

-ريماس صديقتك فوق في فصلها تبكي.

عقد شادي حاجبيه، وقال بصوت منخفض أيضًا:

-لماذا؟ !

-لا أعلم، جلبتُ العصا من فصلها ووجدتها تبكي.

-مَن الأستاذ الذي عليهم؟

-أستاذ أدهم.

-حسنًا، سأعلم ما الأمر.

قالها شادي ونهض من مجلسه واتجه إلى معلمه الواقف قبالة السبورة، وقال - :أستاذ، أريد أن أذهب إلى دورة المياه.

قال المعلم وهو مازال يدوّن بعض نقاط الشرح على السبورة دون أن ينظر له:

-حسنًا، ولكن لا تتأخر.

خرج شادي من فصله وصعد عند فصل ريماس، طرق بابه ففتحت طالبة له، جال الفصل ببصره حتى رآها عاقدة ذراعيها أمامها على دكتها وتدفن رأسها بهما، وسمع صوت نهنهاتها، فنظر للمعلم وقال وهو يحك جبينه بضيق:

-أريد ريماس.

حين سمعته ريماس رفعت رأسها إليه في لهفة لا إرادية منها تستنجد به.

فقال المعلم بابتسامة ساخرة:

-ما هذا؟! يوجد تخاطر سريع هكذا بينكما؟!

عادت الطالبة لمكانها، وقال شادي متجاهلًا ما قاله المعلم الذي لا يفهم مغزاه:

-لماذا هي تبكي؟

-لأني ضربتها.

-ولماذا تضربها؟ هي ليست صغيرة لتضربها مهما كان الذي فعلته.

قال المعلم:

-أنت الآخر من المفترض أن تُضرَب مثلها، ولكني سأكتفي بنزولكما الآن عند مكتب الناظر؛ لتأخذا أنتما الاثنان استدعاء ولي أمر. واستطرد موجهًا دفة الحديث لريماس قائلًا بحدة:

-أجلبي كراستك وتعالي.

انصاعت ريماس لأمره وأخذت كراستها وهي تمسح عبراتها بظهر يدها، واتجهت إليهما؛ فأخذها المعلم هي وشادي وقادهما إلى مكتب الناظر وسط نظرات الطلبة المارّين في الطرقات، لم يفهم شادي أي شيء، فقال هامسًا لريماس وهم خلف المعلم:

-لماذا تبكي؟

ازدادت ريماس في بكائها، فقال شادي:

-لا تخافي؛ أنا معك.

دخلوا عند مكتب الناظر، فقال الناظر وهو يزفر بملل:

-ما أمرهما هما الآخران؟

قال أدهم وهو يشير عليهما:

-توجد بينهما قصة حب وغراميات.

أخذ أدهم الكراسة من يد ريماس، تصفحها حتى جاءت الصفحة التي يريدها، وقال:

-انظر ماذا تكتب الآنسة.

قرأها الناظر بصوت مرتفع:

-أحبك يا شادي"love forever" .

تفاجأ شادي ونسي الموقف الذي هم فيه واتسعت عيناه من الدهشة، ونظر إلى ريماس بسرور وجدها تنظر إلى الأرض كأنها تتوسل لها أن تنشق وتبتلعها علّها تنجدها من هذا المأزق الذي وضعت نفسها فيه بغبائها، كتبت تلك الجملة وهي تحلّ واجبها أمس ونسيت أمرها تمامًا حتى قرأها المعلم وهو يصحح لها.

فقام الناظر من مقعده، وقال وهو يشير بيديه لأستاذ أدهم:

-حسنًا، يمكنك أن تعود إلى فصلك يا أستاذ أدهم وأنا سأتصرف معهما.

انصرف أدهم إلى فصله.

وقال الناظر وهو ينظر لشادي وريماس:

-ألا تريا أنكما صغارًا على ذلك، وأن ذلك حرام قبل أن يكون عيبًا.

واستطرد موجهًا حديثه إلى شادي:

-حتى أنت يا شادي، أنت الذي أفخر بك دائمًا وبتفوقك؟!

فقال شادي:

-أستاذي، هناك سوء تفاهم من أستاذ أدهم، دعني أشرح لك حقيقة الأمر.

أصغى الناظر إليه، فقال شادي:

-أنا وريماس جيران؛ باب شقتهم أمام باب شقتنا، وتربطنا علاقة جيرة قوية ليس غير ذلك، أذهب عندهم وتأتي عندنا ونأخذ الدروس الخصوصية معًا، ونأتي إلى المدرسة ونعود سويًا، وأمها توصيني كل يوم عليها.. تربينا معًا كأننا أخوة وأكثر، ومن الطبيعي أن تحب الأخت أخاها ويحب الأخ أخته، وهي كتبت ذلك أمس بعد ما انتهينا من المذاكرة أمامي كنوع من الشكر –مثلًا- على مجهودي معها، وكتبتها في الكراسة التي يصححها أستاذ أدهم، ومؤكد أنها تعلم أنه سيراها ؛لأنها ترى أن الأمر عادي، هذا أخوها ما المشكلة في ذلك؟! لذلك لم تكترث أن يراها أم لا، هي ليست غبية لتكتب ذلك في الكراسة التي يراها الأستاذ إن كان الأمر أكثر من الأخوة والصداقة وحسب. واستطرد وهو ينظر إلى ريماس:

-أليس كذلك يا ريماس؟

أومأت ريماس برأسها في صمت.

فقال الناظر:

-حسنًا، سأفترض حسن النية وأصدقكَ، ولكن لا يصح أن يُكتَب ذلك الكلام في كراستها ثانية. واستطرد وهو يشير بسبابته إلى شادي:

-لو كان حدث ذلك يا شادي مع طالب آخر كنت لا أفوّت هذا الموضوع، ولكني أعلم أنك طالب على خُلق ومتفوق؛ لذلك سأعفو عنكما، ولكن عِدني ألا يتكرر ذلك في كراسات المدرسة مرة ثانية.

-نعدك.

قالها شادي ونظر إلى ريماس وقال:

-عديه يا ريماس.

قالت ريماس بصوت منخفض:

-أعدك.

ابتسم الناظر وقال:

-حسنًا، اذهبا إلى فصولكما.

فقال شادي:

-ولكني أنا الآخر أعترض على شيء.

-وعلى ماذا تعترض؟

قالها الناظر باستغراب، فقال شادي:

-أستاذ أدهم ضرب ريماس، وهذا لا يصح، اجعله يعدُكَ بأن لا يكرر ذلك الموضوع دون أن يفهم.

قال الناظر:

-ولا يصح أن أضع نفسي في موضع شُبهات وأطلب من الناس أن لا يفهموا الأمر خطأ، هي إن لم تكتب ذلك ثانية هذا لا يتكرر ولن يضربها.

أعجب شادي بهذا المنطق فقال:

-حسنًا، سنذهب إلى فصولنا.

قالها وخرج الاثنان، صعد شادي مع ريماس إلى فصلها دون أن يتكلم أحد منهم، حتى وصلا عند الفصل، طرق شادي الباب وانتظرا حتى فتحه أدهم، فقال شادي:

-انتهى الموضوع.

-أخذتم استدعاء ولي أمر؟!

قال شادي ببرود:

-لا، يمكنك أن تتحدث مع الناظر وتفهم ماذا حدث؛ لأني عندي حصة الآن.

فقال أدهم وهو يحكّ أنفه بضيق:

-ادخلي يا ريماس.

دخلت ريماس وجلست في مكانها، فقال شادي:

-سأنتظرك بعد انتهاء الحصص بالأسفل في المكان الذي أنتظرك فيه دائمًا.

قال ذلك متعمدًا أن يضايق المعلم، وانصرف فور انتهاء الجملة.

*****

دخل فارس المصحة التي تعمل بها عالية؛ فهو يتذكر اسمها منذ شهور عندما قالتها له وسط حديثهما، سأل أحد أفراد الأمن:

-أين نافذة قطع التذاكر من فضلك؟

أشار له على أحد الطرقات، وقال:

-في هذه الطرقة.

اتجه فارس إلى حيث أشار فرد الأمن، لم يستطع أن يرى عالية من كثرة المرضى الواقفين قبالة النافذتين.

جلس على مقعد أمامهما، كان يسمع صوتها وهي تقول "حسنًا، حسنًا"، وتارة تقول "ما اسمك؟ " وتارة "حسنًا، انتظري"، وتارة "رويدًا، لا يصح ذلك"، وكان يراها خِلسة من بينهم كلما حانت فرصة، ولم تره هي؛ فبالتأكيد لا تتوقع وجوده، جلس منتظرًا حتى تنتهي من عملها.

*****

حين دق جرس انتهاء الحصة الأخيرة خرج شادي من فصله فور خروج المعلم، ونزل الدرج سريعًا؛ لينتظر ريماس في مكانه قبل أن تنزل هي قبله، ظل مثبتًا نظره على المكان الذي تخرج منه الفتيات وهو مبتسمٌ؛ فمنذ أن علم ما كتبته ريماس وهو سعيد، فقد كان لا يعرف شعورها تجاهه صداقة أم حب، واليوم تأكد من شعورها تجاهه دون عناء.. حتى رآها قادمة لا تبتسم له كعادتها، تعمّدت أن لا تنظر إليه وزعمت أنها تعبث في يديها بأظافرها حتى لا تتلاقى أعينهما وتخجل وهي تتذكر ما حدث حتى جاءت عنده، فقام شادي وسار بجوارها، وقال:

-أستاذ أدهم ضايقكِ ثانيةً بعدما نزلت؟

-لا، فقد انتهت الحصة بعد نزولكَ بخمس دقائق.

-عندما جئتُ فصلك ووجدتك تبكين كنت أريد أن أقتله.

-صحيح، ماذا كنت تريد عندما جئت.

-لا أريد شيئًا، سامر صديقي كان يجلب عصا من فصلك ورآكِ هكذا، فجاء أبلغني.

لم ترد ريماس وظلت صامته، فقال شادي - :ريماس.

نظرت له، فقال - :لماذا لا تتكلمين؟

قالت بعتاب:

-هل ما قُلته للناظر صحيح؟

نظر لها شادي وقال بعفوية:

-بالتأكيد غير صحيح، أنا أحبك يا ريماس، حتى الآن لا تعرفي ذلك؟!

ابتسمت ريماس وتوردت وجنتاها، وقالت بارتباك:

-أريد أن أتركك وأركض إلى بيتنا الآن.

*****

بدأ المرضى يقلّون تدريجيًا من أمام عالية؛ فقد بقيَ القليل على موعد انتهاء قطع التذاكر.

ظل فارس عاقدًا ذراعيه أمامه وينظر لها وهي تمارس مهام عملها حتى انتهى موعد قطع التذاكر، أغمضت عينيها ومالت رأسها للوراء وزفرت ببطء، وهي تفتح عينيها وجدت فارس جالسًا أمامها، تفاجأت به، فقام فارس واتجه إليها وقال:

-مجهِدٌ جدًا هذا العمل، بالتأكيد الصداع يقيم برأسك احتفالات صاخبة الآن.

قالت من خلف النافذة:

-ماذا تريد يا فارس؟ قُلت أنني غير موافقة على طلبك، لماذا جئت إلى هنا؟

-أعلم أنني مُخطئ، ولكن اسمعي عذري أولًا قبل أن تتخذي أي قرار، هيَّا اخرجي لنذهب إلى مكان هادئ.

فقال محمود زميل عملها وهو ينظر إلى فارس:

-عالية، تريدين شيئًا.

كان يظن فارس طليقها ويضايقها.

فقالت عالية:

-لا شيء، شكرًا لك يا محمود.

أخذت عالية حقيبتها وغادرت الغرفة، اتجه إليها فارس ليسير بجوارها، وقال:

-لماذا لستِ موافقة؟!

-لأنه ليس بكيفِك.

-وما هو الذي ليس بكيفي؟!

-أن تبحث عني وعندما تجدني تتركني كل تلك الأيام بعد أن فقدتَ الأمل في مجيئك، وقادم الآن تبعثه من جديد، وبالتأكيد ستغادر ثانية؛ لأن الذي لا يهمه الفراق مرة لن يهمه ألف مرة.

-أتعلمين ما الذي استنتجته من غضبك هذا؟

-ماذا؟!

-أنكِ تحبينني.

ضحكت عالية وقالت:

-لو أني أحبك ما كنت رفضتكَ أمس أمام أهلي.

قالتها وكانا قد غادرا المستشفى، فقال فارس مداعبًا:

-ستُحاسَبين على هذا الموقف المخزي بعد الزواج، لا تظني أني سأنساه.

ضحكت عالية بسخرية وقالت:

-بعد الزواج! كفاك أوهام.

-حسنًا، كفى ذلك ودعينا نتحدث جد قليلًا.

قال ذلك، واستطرد:

-أعلم أنني مخطئ، ولكنكِ لا تعلمين ظروفي، وسأقولها لكِ من دون كذب أو تجميل.

أصغت إليه، فقال وهو سائر جوارها:

-أنا أعيش منعزلًا عن أهلي، لي حياة خاصة.

قبل أن يُكمِل قالت عالية باستغراب:

-تعيش وحيدًا؟!

-لست وحيدًا بالمعنى الحرفي.

قاطعته وقالت:

-كيف منعزل ولست وحيدًا؟!

-أذهب لهم أحيانًا، ويأتيني صديقي حسن أحيانًا أخرى، كما أنني ما شعرت بالوحدة يومًا واحدًا بين كتبي؛ فأنا مريض بحب الكتب.

نظر لها وقال:

-أتعلمين شيئًا عن هذا المرض؟

-ما هي أعراضه؟

-أن تحبي الكتب حبًا شديدًا وتتأذي إن رأيتِ كتابًا مُمَزقًا مثلًا.. وأن تستخدمي علامة مرجعية حتى لا تثني ورقة من ورقاته، وعندما تمري من أمام مكتبة أو حتى فرشة ما على الرصيف تقفي تنظري إلى العناوين حتى لو لم يكن معك مال كافٍ لشراء كتاب، الكُتب عالم آخر موازي لهذا الواقع السيء، يمكنك من خلاله أن تبحري بخيالكِ وتعبري المحيط وتسافري إلى بلاد أخرى لم تريها من قبل وأنتِ جالسة في مكانك.

نظر لها وجدها ساهمة، فقال:

-قد تريها مبالغة، ولكنكِ إن أُصبتِ بهذا المرض الحميد ستعرفين كل ذلك.

عقدت حاجبيها وقالت:

-أنت أدخلتني في قصة أخرى، ما شأني بحبك للكتب؟ وما هذا الطريق الذي نسير فيه؟! سأذهب إلى موقف السيارات وأعود إلى بيتي.

وقف فارس أمامها، وقال رافعًا أحد حاجبيه:

-يبدو أنكِ مجنونة، أنتِ التي سألتِني أولًا، عمومًا انسي كل ما قُلت ودعيني أكمل لكِ ما منعني عنك كل الأيام الماضية، ثم أنك لن تذهبي إلى موقف السيارات الآن، سنذهب إلى حيث تقودنا قدمانا حتى تفهمي كل شيء.

واستطرد وهو يشير بأحد ذراعيه:

-وهيا بنا نعود للخلف؛ لنسير في ذلك الطريق الهادئ.

استدارت عالية برغبتها، وقالت وهي تسير ببطء بجواره:

-إذن فهّمني ظروفك وبكل صراحة.

-بكل صراحة؟

-أجل.

-كنت خائف أن أمَلَّ منكِ.

نظرت له باستغراب، فضحك فارس وقال:

-هذه الصراحة، أنتِ التي طلبتِ ذلك.

ثم استطرد بجدية:

-أنا أمَلّ من أي شيء دائم، وكنت خائف أن أمَلّ منك وأخذلك وتكرهين جميع الرجال، ويكون ذلك بسببي، خاصة أن رجل قبلي خذلكِ، هذا أكثر شيء كان يريبني من علاقتنا؛ أنكِ لستِ حمل خذلان آخر، كنت خائف عليكِ مني، كما أنني لا أثبت في عملٍ واحد، ولم يكن معي أي شيءٍ من المال، كيف كنت أتقدم لكِ؟ خاصة أنك أعطيتِني عنوان بيتك سريعًا؛ لكي لا نتحدث دون علاقة رسمية، هذا شيء جيد، ولكني لا أحب أن أُجبِرَ على شيء، ودون أن أربط جميع أطرافه برأسي وتركت الأمر يسير كما يسير.

قاطعته عالية وقالت:

-إذن ما الذي جاء بك ثانيةً؟

-لأنني اكتشفتُ أنني لن أمِلّ منكِ أبدًا، طوال الأيام الماضية كنت لا أفكر إلا بكِ، وهذا ما جعلني أستمر في عملٍ واحدٍ حتى الآن، كنت بلا عمل في ذلك الوقت، ولكن بعدها رأيت عملًا مناسبًا وما زلت مستمرًا فيه، وأن أستمر في عملًا واحدًا كل هذه المدة كان شبه مستحيل بالنسبة لي، ولكني فعلته لأجلكِ.

-لست مقتنعة، إن كنت تحبني حقًا كيف تحمّلت كل ذلك الغياب؟

-قُلت لكِ إنكِ ما سمحتِ لي أن أراكِ إلا في بيت والدك، ثم كيف آتي لكِ دون عمل ودون أن أحدد مشاعري، أظن أننا لسنا مراهقَين ومندفعَين، وكان لابد لي ولكِ أن نحدد صدق مشاعرنا، نعم كنت أبحث عنكِ ومبهورًا بك، ولكن أن نتزوج فور ملاقاتك هذا شيء غريب، الزواج علاقة مقدسة تحتاج إلى رويَّة قبل أن نخوض تلك التجربة.

نظر لها وقال:

-عالية، أنا أحبك... أحبك جدًا، وصدقيني لن تندمي إذا وافقتِ على زواجنا، سنعيش حياة استثنائية تجعلكِ تحبين الحياة.

ظلت عالية صامتة، فقال فارس:

-موافقة أم لا؟

ابتسمت عالية، وقالت وهي تومئ برأسها:

-موافقة.

*****

طرقت ريماس باب شقة شادي، وكان معها كراسة رسمِها، فتح فارس الباب وهو يغلق آخر زر في قميصه، صمت قليلًا ثم قال:

-أنتِ ريماس، أليس كذلك؟

قالت ريماس:

-أجل.

-وبالتأكيد تريدين شادي.

أومأت ريماس برأسها، فقال فارس:

-حسنًا، ادخلي حتى يأتي.

-هو غير موجود إذن.

-أجل، نزل مع ابنة خالته يبتاع لها عدة أشياء.

-ابنة خالته؟!

أومأ فارس برأسه مبتسمًا، وقال:

-أجل، ابنة خالته.

-حسنًا.

قالتها ريماس بصوت منكسر، واستدارت لتغادر، فقال فارس:

-تريدين أن أقول له شيئًا، أو أجعله يذهب لكِ عندما يأتي؟

-لا، ليس أمرًا مهمًا.

تركته ودلفت شقتها وأغلقت الباب خلفها، أغلق فارس هو الآخر الباب ودلف حجرته، دوّن شيئًا في ورقة وأطبقها ووضعها في جيب سروال شادي المُعلّق على الشماعة الخشبية، دلفت أمه خلفه، وقالت بصوت منخفض:

-لماذا ارتديت ملابس خروجك؟ هل ستغادر؟ لا يصح ذلك.

بادلها فارس الحديث بصوت منخفض هو الآخر، وقال:

-من الذي قال لا يصح؟!

-لا يصح أن تترك أقاربك جالسين وتغادر.

-اجلسي أنتِ معهم.

قالها وهو ممسك بأحد خدَّيها مداعبًا، والتقط مفاتيحه وهاتفه.

فقالت أمينة:

-منذ فترة كبيرة لم تأتِ، وعندما تأتي لا تُكمل الساعتين، أريد أن أتحدث معك.

-سآتي لكِ غدًا لا تقلقي.

قالت أمينة باستسلام:

-سأنتظرك.

غادر فارس الحجرة وألقى التحية على خالته وزوجها وابنتها الثانية، واتجه إلى باب الشقة غادر وأغلق الباب خلفه.

*****

-ها أنا وأنتِ نعيش أجمل أيام حياتنا، ونحن ربما نكون آخر اثنين في دفعة كل منا حتى الآن لم يتزوج.. حقًا الصبر نعمة كبيرة.

قالتها مروة مُحدثة عالية بعدما ارتشفت آخر رشفة من كوب العصير الذي في يدها وهي جالسة على حرف السرير في بيت عالية، فقد مرت أيام وخُطِب فارس وعالية دون إجراءات روتينية كثيرة، اتفق الأهلان دون حفل خطبة، كانت والدة عالية أكثر المتحمسين لهذه الخطبة، وكانت تُريد أن تتم الزيجة سريعًا، ولكن والد عالية وشقيقها سامح أقنعاها ألا تتسرع؛ كي لا تتكرر مأساة عالية مرة أخرى، وأصرا أن يكون هناك فترة خطبة كي يدرسا بعضهما جيدًا، فقالت عالية:

-أنا نادمة جدًا على كل الأيام التي أضعتها في الحزن، حقًا كنت غبية جدًا.

ضحكت مروة وقالت:

-انسي تلك الأيام التي مضت؛ حتى لا تفسدي حاضرك.

قالت ذلك ونهضت، ونظرت في ساعة يدها وهي تقول:

-سأذهب الآن، أمي أوصتني ألا أتأخر، ولا تأخذي على ذلك، المرة القادمة ستأتيني أنتِ.

وقفت عالية وقالت:

-حسنًا حسنًا.

فتحت الباب، وخرجت معها مروة حتى باب الشقة.

قبّلتها مروة على أحد وجنتيها، وقالت:

-وداعًا.

-وداعًا.

قالتها عالية وأغلقت الباب

*****

اتجه فارس إلى حسن في الصيدلية، وجده يخلع المعطف ويستعد للمغادرة، فقال حسن مبتسمًا:

-كنت قادمًا إليك.

-جئت لك أنا، هيا نذهب إلى أي مقهى.

-حسنًا.

أنهى حسن استعداداته وخرج هو وفارس، اتجها إلى مقهى قريب من الصيدلية، جذبا مقعدين وجلسا، فقال حسن:

-خطوبتك جاءت على رأسي، مُنذ أن خطبتَ وأمي تُلِح على رأسي أن أخطبَ مثلك، والآن تبحث لي عن عروس.

ضحك فارس وقال:

-هذا جيد، هيَّا اخطب ونتزوج في ليلة واحدة.

-لا أريد الزواج الآن، وأمي غير مقتنعة بذلك.

-تريد أن تفرح بك، فكر في الأمر.

صمت فارس قليلًا، ثم قال:

-حبيبة تزوجت، وأنت تعلم ذلك.

-ولكنها لا تُحب زوجها.

جاء النادل قطع حديثهما وسألهما عن مشروباتهما، دوّنها وغادر، وأكملا حديثهما.

*****

في اليوم التالي انتظر شادي ريماس في مكانه المعهود بعد انتهاء الحصص، نزلت ريماس؛ فأمسك شادي بحقيبته ونهض، وسار بجوارها وهو يقول:

-لمَ لَم تنتظريني صباحًا؟ مررت عليكِ قالت أمك أنك سبقتِني، أكان عليكِ مجموعة؟

-لا.

قالتها ريماس بحنق، فقال شادي باستغراب:

-ولمَ لم تنتظريني.

-لا أظن أنك ستأتي، قُلت بالتأكيد ستتغيب؛ لتقعُد مع ابنة خالتك.

عقد شادي حاجبيه وقال:

-ابنة خالتي مَن؟!

قالت كأنها تقلد امرأة تبغضها:

-التي نزلت معها أمس تبتاع لها عدة أشياء.

ضحك شادي وقال:

-جودي؟! واستطرد: ولمَ أتغيّب لأقعد معها؟ هل سأرضعها مثلًا؟!

-وطالما لن ترضعها لمَ تنزل معها تبتاع لها أشياء، أهي صغيرة على ذلك؟!

-أجل صغيرة على ذلك، أظن أنك رأيتها معي.

-لم أراكما، فارس أخوك من أخبرني.

ضحك شادي وعلم أنها الغيرة، فقال:

-أتدري كم تبلغ من العمر؟

-لا.

-سنتان.

تنهدت ريماس وقالت:

-ولمَ لا يقول ذلك فارس.

-ذكرتِني بفارس، قال لي على" الفيس بوك" "تركت لك أمر هام في جيب سروال مدرستك" كنت سأتطلع عليه ونسيت ذلك الأمر.

تحسس بيديه الاثنين جيوب سرواله حتى شعر بورقة في أحدهم، أخرجها وفتحها وجده دوَّن له" ستضرب الغيرة بجناحيها السامين كل من يخالف القوانين" ضحك شادي بشدة وقال:

-فارس هو من تعمد ذلك حتى يجعلك تغارين، ربما لو كنت قرأت تلك الورقة أمس كنت لا أفهم شيئًا.

-وما المدوّن بالورقة؟!

أعطاها لها شادي، فقرأتها وضحكت وقالت:

-مثل ما أنت مدوِّن على باب حجرتك، فارس أخوك هذا تحفة.

رفع شادي أحد حاجبيه، وقال وهو ينظر لها بجانب عينيه:

-سأغار أنا هكذا.

*****

- دعواتك يا أمي أن أُقبَلَ في الوظيفة تلك المرة.

قالتها مروة وهي تُقبّل جبين أمها، قبل أن تغادر قالت أمها:

-وفقك الله يا بنيتي.

دق هاتف مروة، فقالت:

-سأنزل الآن، يبدو أن مصطفى قد وصل.

-أرسلي له سلامي.

-حسنًا، وداعًا.

قالتها مروة وهي تغلق الباب خلفها، نزلت الدرج سريعًا ووقفت أمام عقارها تنتظر مصطفى؛ ليذهبا الاثنان سويًا إلى مقابلة عمل لمروة في السفارة الروسية فدراستها الجامعية كانت آداب قسم لغة روسية، نظرت مروة في ساعتها وجدتها العاشرة صباحًا بالدقيقة، وجاءها صوت مصطفى وهو يقول بمرح:

-قاااادم.

قال ذلك وهو مُطلّ برأسه من نافذة سيارة يقودها سريعًا، نظرت له مروة مبتسمة حتى وقف بالسيارة أمامها، نزع النظارة الشمسية وقال:

-ما رأيك؟ لائق عليَّ هذا، أليس كذلك؟

ضحكت مروة وقالت:

-لائق جدًا، ولكن سيارة مَن تلك؟

نزل وهو يقول:

-سيارة صديقي ولكن خلال عامين سيكون عندي أفضل منها.

اتجه نحو باب السيارة الآخر، وقال وهو يفتحه ويشير بذراعه الآخر نحو السيارة:

-هيا اركبي سمو الأميرة.

ضحكت مروة واستقلت السيارة وهي تقول:

-سآخذ على ذلك التدليل ليكن في علمك.

اتجه نحو الباب الآخر واستقل على مقعد القيادة، وقال وهو يقود:

-تدلّلي على راحتك، أنتِ ملكة قلبي ومن حق الملكة أن يكون لها خدم وحشم وحراس، اسمحي لي أن أكون لكِ جميعهم.

ضحكت مروة بملء فِيها وهي تقول:

-كف عن تلك المغازلة، لا أجد ما أقول.

ضحك مصطفى وهو يقول:

-أعلم انكِ لا تستطيعين أن تجيبي على الكلام الحلو؛ لذلك أقوله حتى أجعلك ترتبكِين وتحمر وجنتيكِ هكذا.

ضحكت مروة، ولكزته بحقيبتها وهي تقول:

-إذن ركّز في القيادة واجعل هذا اليوم يمُر بسلام.

نظر لها مصطفى وقال:

-مستعدة لمقابلة اليوم؟

-أجل مُستعدَّة، ولكن لستُ متفائلة.

قال مصطفى مداعبًا:

-أتغيّب اليوم من العمل لأجلك وأستعير سيارة صديقي وأرتدي نظارة شمسية طراز ريبان، وبعد كل ذلك تقولين لستِ متفائلة؟!

أخذت مروة النظارة الشمسية من أمام عينيه، وقالت وهي ترتديها:

-يبدو أن سر التفاؤل في تلك النظارة، سأرتديها لأرى ما ترى.

ارتدتها وهي ترفع رأسها وتقول مداعبة:

-الآن تفاءلت.

ضحك مصطفى وقال:

-إذن ارتدي حزام الأمان ولا تقلقي، سأجعلكِ تُجرّبين إحساس قطار الموت على الطبيعة.

قال ذلك وزاد من سرعة السيارة.

قالت مروة وهي خائفة:

-لا لا لا، هدئ السرعة أرجوك.

-لا تخافي.

قال ذلك وهو يضحك، وأردف وهو ينظر لها ونظر أمامه ثانية:

-لم أعلم أن قلبك ضعيف هكذا، ولكن تعرفين... أنتِ جميلة حتى وأنتِ خائفة.

-مصطفى لا أمزح، هدئ السرعة وإلا سأفتح الباب وأنزل.

أربكته فلم تكمل جملتها حتى خرجت شاحنة من منعطف جانبي واصطدم بها مصطفى.

*****

خرجت عالية من عملها واتجهت حيث المستشفى التي قالتها لها والدة مروة في الهاتف، ذهبت إلى الاستعلامات واستعلمت عن غرفة مروة صديقتها، قالت لها الموظفة:

-حادثة الفتاة وخطيبها؟

قالت عالية بحزن:

-مصطفى معها؟!

فلم تعلم تفاصيل أي شيء سوى أن مروة أُصيبت بحادث.

قالت الموظفة بأسى:

-نعم هو مصطفي؛ فقد بُترت ساقَيه.

شهقت عالية ووضعت يدها على فمها، فقد علمت أن الحادث لم يكن هيِّنا، وقالت بفزع:

-مروة حدث لها شيء؟ أين هي؟

دلتها الموظفة على غرفتها؛ فاتجهت إليها عالية في ذعر، وجدت سلوى أم مروة وراجية أم مصطفى يبكيان وبعض أقاربهما على وجوههم علامات الأسى البالغ أمام غرفة العمليات، فقالت بلهفة مُحدّثة شقيقة مروة التي كانت واقفة في ركنٍ بعيد:

-ماذا حدث يا أم تُقى؟

قالت أم تقى محاولة التماسك:

-اصطدما بشاحنة كبيرة.

-ماذا أصاب مروة؟

-إنها في غيبوبة الآن وأصابتها جراح بالغة.. ولكن مصطفى بُترت ساقَيه وفي غيبوبة أيضًا.

قالت عالية دامعة:

-لا حول ولا قوة الا بالله، إن شاء الله يقومان لنا بالسلامة.

أومأت أم تقى دامعة أيضًا، وقالت:

-إن شاء الله.

وقفت عالية جوارها حتى يسمح لهم الأطباء بالدخول لرؤيتهما.

*****

مرت أيام... كانت الساعة الرابعة عصرًا وعالية تنتظر فارس في كافيه قريبًا من بيتها اتفقا أن يتقابلا فيه، ظلت عالية تعبث في مفرش الطاولة التي تجلس أمامها في شرود حتى جاء فارس في تمام موعده، ركن سيارة الشركة ونزل جلس على مقعد مقابل لها، ولوَّح لها بإحدى يديه حتى فاقت من شرودها وقالت مبتسمة:

-لم أشعر بقدومك.

-فيما كنتِ تفكرين؟

قالت عالية بحزن:

-مروة.. خائفة عليها جدًا، أنا لا شيء من دونها، منذ خمسة أيام وهي في غيبوبتها.

-لا تخافي؛ كثيرون يمكثون في غيبوبة أيامًا وشهور وربما سنوات، ثم يفيقون ويعودون لحياتهم الطبيعية، ستشفى بإذن الله.

-بإذن الله.

-صحيح... أمس كنت عند شهد وأخبرتُها عن ما حدث لصديقتها؛ لكي تزورها، قُلت لها أنك تذهبين لها يوميًا بعد الانتهاء من عملك وهي تريد زيارتها معكِ.

-سأتصل بها غداً ونذهب سويًا.

جاء النادل قطع حديثهما وسألهما عما سيطلبانه، قال له فارس طلباتهما، دوّنها النادل وغادر.

وبعد مغادرته وجد فارس عالية تنظر له فظل ناظرًا لها هو الآخر، فقالت عالية بخجل:

-لا تنظر في عيني.

ضحك فارس وقال:

-أنتِ من ابتدأتِ لعلمك.

فقالت عالية بحزن:

-خائفة أن تفرق بيننا الدنيا؛ فقد تعودت منها على ذلك، أن تأخذ مني كل عزيز.

صمت فارس قليلًا، ثم قال:

-عالية، لا تتركيني أتركك.

ابتسمت عالية وقالت:

-لن أتركك تتركني، ماذا كانت مواصفات فتاة أحلامك حتى أكونها؟

ضحك فارس وقال:

-قبل أن يظهر وجهكِ في الجدار كانت مواصفات فتاة أحلامي أن تكون فتاة خلوقة، جميلة، ذكية، خفيفة الظل، قارئة.

عقدت عالية حاجبيها، وقالت مداعبة:

-ألا تريدها شقراء تُقدّس الحياة الزوجية بالمرة؟

ضحك فارس وقال:

-هكذا يكون عال العال.

ابتسمت عالية وهمَّت أن تقول شيئًا، فجاء النادل وضع أمامهما مشروباتهما، فقال فارس فور مغادرة النادل:

-وأنتِ ماذا كانت مواصفات فتى أحلامك حتى أكونه؟

ضحكت عالية وقالت:

-عندما كنت مراهقة كانت مواصفات فتى أحلامي أن يكون ولدًا وسيمًا، يمتلك دراجة بخارية وأركب خلفه، أو مثلًا يكون يحب الصيد ويأخذني معه في رحلة صيد.

ضحكت وهي تقول:

- كانت أحلامي تافهة جدًا.

ضحك فارس وقال:

-لم تكن تافهة، كل أمنية تذهب لها مخيلتك لم تكن تافهة، ستكون التافهة أنتِ إذا تخليتِ عنها.

-لن أتخلى عنها طالما أنك معي.

*****

-بعد اختبارات آخر العام لريماس سنهاجر إلى أمريكا عند أخي، الوضع هنا يسوء يومًا عن يوم وأصبح مزريًا.

سمعت ريماس أباها يقول ذلك لأمها وهي متجهة إلى غرفتها لتنام، فوقفت عند باب الغرفة وهي ممسكة بالمقبض تسمع باقي الحديث، فقالت رانيا:

-ماذا؟! وأهلي هنا؟! معنى أننا نهاجر أننا سنقيم هُناك للأبد ونأتي هنا كالأغراب كل بضعة أعوام، لا يا هشام لا أوافقك في هذا القرار.

قال هشام:

-وضعي المالي كل يوم يسوء والحياة أصبحت لا تروق لأحد، كما أنني لا أريد لابنتي الوحيدة أن تنشأ في ذلك المجتمع المُعقّد الغريب، الحياة هناك أفضل، انظري إلى أخي كيف أصبح وكيف هم أبناءه وتعليمهم المُشرِف، رغم أن المجتمع هناك منفتح لكن ثقافة الشعب كمجمل أفضل من هنا، ابنتنا ستتربى على نفس تربيتها هنا ولن تنزع حجابها، ولكنها ستنشأ في مجتمع أفضل من هنا، كما قُلت لكِ الوضع يزداد سوءًا.

*****

سقطت عبرة من جانب عينه دلفت في أذنه اليمنى حاول ضم شفتيه مجاهداً نفسه أن لا يبكي وهو ممد على السرير وينظر لسقف الغرفة.. أنه مصطفى فقد أفاق من غيبوبته منذ خمسة دقائق، كانت الدقائق الخمس كافية لأن يدرك ماذا حدث عندما فتح عينيه ونظر حوله تأكد أنه في مصحة هم أن يقوم ليجلس، لم يستطع.. أوقف صوت أنفاسه قليلاً يحاول أن يفهم لماذا لم يشعر بقدميه رغم أنه لا يشعر بهما ولا بوجودهما إلا أنه لم يتخيل أنهما بُترتا،

رفع رأسه قليلاً مستندًا بمرفقيه على سريره فلم يراهما أغمض عينيه بقوة وفتحهما ثانية كأنه يتأكد أنه ليس في كابوس مريع ولكن أدرك أنه حقيقة حين تذكر الشاحنة وهي تصطدم بهم..

لم يشعر بألم جسدي حينها ولكن الألم النفسي الذي شعر به كان يتعدى الألم الجسدي أضعاف كثيرة فأن تشفق على نفسك أسوأ ما قد يحدث لك

عاد بنظره إلى قدميه وهو في قمة تماسكه بعد أن استوعب ما حدث حتى انهارت عينيه كسيول السماء سقطت أول عبرة وتواصلت خلفها العبرات في صمت وانهالت اكثر حين اتخذ قراراً بشأن الذي حدث له استسلم للبكاء وظل يبكي كثيرًا، حتى نظر يمينه وشماله ليعرف كم الساعة وأين الناس لماذا لا يرى أمه ولا أي مُمَّرضة ولا طبيب نظر إلى النافذة علم من الضوء انه وقت بزوغ النهار

*****

- شفاها الله

قالتها سيمازا بلهجة حزينة وهي واقفة جوار عالية تنظران إلى مروة وهي نائمة على سرير العناية من خلف الزجاج وهي ممدة على السرير ومتصل بأنفها وفمها ويدها خراطيم طبية لا تدري بما حولها.

قالت عالية: - آمين

- أين خطيبها

هزت عالية كتفيها وهي تقول:

- لا أعلم

مر طبيب متعجلاً من جوارهم ذلك الطبيب الذي تطمئن منه عالية كل يوم عن حالة صديقتها فأوقفته عالية وقالت:

- دكتور كيف حال مروة اليوم .. متى ستفيق وأين مصطفى

قال الطبيب:

- قُلت لكِ مرارًا أن مروة حالتها أفضل من غيرها مروا بمثل ذلك وأنها تستجيب للمحاليل استجابة ملحوظة ولكن لا اعلم متى ستفيق، إدعي لها

قالت سيمازا:

- وأين مصطفى

قال الطبيب وهو مغادر متعجلاً:

- أفاق صباح اليوم من غيبوبته ونُقل من غرفته لغرفة أخرى حتى يتعافى نهائياً ويتأهل تأهيل نفسي لفقد ساقيه.. استعلما عنها

- نشكرك كثيرًا

قالتها عالية بعدما ابتعد عنهما الطبيب إلى حيث ذاهب

فقالت عالية وهم يسيران حتى يغادرا المصَّحة

- إشارة جيدة أن مصطفى قد أفاق، وجهك حلو يا سيمازا

قالت سيمازا مبتسمة:

- العقبى لمروة إن شاء الله

- إن شاء الله

غادرتا مبنى المصحة فقالت سيمازا وهما تسيران حتى موقف السيارات:

- أين فارس ألم يأت ليوصلنا إلى بيوتنا

- كان يريد أن يأتي ولكن عنده طلبات أدوية كثيرة اليوم

- كان الله في عونه.. لم أصدق أن فارس استمر طيلة هذه المدة في عمل واحد.

ضحكت عالية وقالت:

- هو نفسه لم يصدق ولكن يقول أنه يذهب كل يوم إلى أماكن مختلفة في التوزيع فلن يشعر بالروتين.

- متى ستتزوجا إذن

- لن أتزوج حتى تتعافى مروة تمامًا إن شاء الله.. اتفقنا أنا وفارس على ذلك

- عافى الله مروة وأسعدكم جميعًا.

*****

في اليوم التالي في فناء المدرسة وقت الفسحة كان شادي جالسًا بجوار ريماس التي تأكل لفافات طعامها، فقالت ريماس بعدما مضغت ما في فمها:

-إنني حزينة منذ اليوم الذي عرفت فيه أننا سنهاجر بعد انتهاء آخر العام.. حزينة جدًا.

نظر شادي إلى اللفافة التي في يدها، وقال مداعبًا:

-يبدو عليكِ الحزن جدًا.

نظرت له ريماس رافعة أحد حاجبيها وهي تقول:

-ويبدو أنكَ تستهزئ جدًا وغير مُقدر ما أشعر به.

قال شادي بجدية:

-لا تحزني؛ ليست المسافات هي من تفرّق بيننا.

قال ذلك وقبض إحدى يديه وجعلها كالمنظار، وقال وهو يشير أمامه على شجرة تبعد عنهما بأمتار:

-ضمي أصابعك هكذا وانظري منها إلى تلك الشجرة وأغلقي عينك الثانية.

فعلت ذلك ريماس، فقال شادي:

-حاولي بيدك الثانية أن تمسكي ورقة من ورقاتها.

همَّت ريماس أن تمسك ورقة كأنها أمامها وستمسكها بالفعل، فقال شادي:

-رأيتِ.. لم تبعدِ يدكِ وأنتِ تحاولين أن تمسكي الورقة؛ لأنكِ شعرتِ أنها أمامك حقًا، برغم أنها بعيدة جدًا عنك.. لو أنني قُلت لكِ انظري أمامك وأخبريني ماذا ترين ربما كنتِ لا تلحظين تلك الشجرة من الأساس، ولكن من يريد شيئًا لا يرى سواه، حتى وإن كان بعيدًا عنه.. وأنا لم أرَغيرك هل فهمتِني؟

اومأت ريماس برأسها مبتسمة وقالت:

-فهمتك.

*****

-آآه.

صاح بها مصطفى متألمًا بعد منتصف الليل.

كانت أمه جالسة على مقعد جواره واضعة إحدى يديها على وجنتها وشاردة فاقت على صوته فقالت على الفور بلهفة:

-ما يؤلمك؟

عقد مصطفى حاجبيه وهو مغمض عينيه يجز على أسنانه من شدة الألم وهو يكرر بصوت أعلى:

-آآآآه.

هبطت من عين أمه دمعة وهي تقول:

-ماذا بك يا حبيبي؟ بماذا تشعر؟ ثم نهضت وهي تقول: سأذهب لأجلب لك الطبيب.

قال مصطفى واهنًا وهو يشير جواره على زر الاستغاثة:

-اضغطي هنا.

ضغطت أمه كما قال سريعًا؛ فجاءت ممرضة بعد قليل وجدته يتألم، لم تتكلم وأخرجت حقنة مسكنة للآلام من الدولاب الموجود في زاوية الغرفة، أعطتها له وقالت:

- مفعول المسكن قد ذهب.. هذه الحقنة مفعول مسكنها يدوم أكثر وستُذهِب الألم سريعًا، كُن قويًا.. سآتي بعد قليل لأطمئن عليك؟

لم يستطع أن يبتسم لها من شدة الألم، فقالت أمه:

-أشكركِ كثيرًا.

-هذا واجبي.

قالتها الممرضة أثناء مغادرتها.

*****

في اليوم التالي في السابعة مساءًا طوى حسن كراسة في يده بها أسماء الأدوية الناقصة، كان فارس جالسًا أمامه يعبث بعلب أدوية على المكتب شكّل بهم حرف"A" ، فقال حسن:

-أيندوكسان 200 مجم سيظل ناقصًا كثيرًا.

التفت له فارس وقال:

-صيدليات كثيرة سألتني عن هذا الدواء، عرفت أنه مُضاد للسرطان.. مرض السرطان منتشر هكذا؟!

قال حسن في أسى:

-هناك إحصائيات تقول أن مائتي ألف مريض يُصاب بالسرطان سنويًا في مصر.

فغر فارس فاه، وهو يقول مندهشًا:

-أوه! هذه نسبة مرعبة. وأردف: ولكن ماذا بك؟ يبدو أنك لست على ما يرام.

جلس حسن قبالته وقال:

-أمي رأت لي عروس، واتفقت مع أهلها على مقابلتنا لهم يوم الجمعة القادمة، وضعتني أمام الأمر الواقع، وأنا كما تعلم لا أريد ذلك في هذا التوقيت على الأقل، ولا أريد تلك الطريقة في الزواج من الأساس.

-من الممكن أن تعجبك تلك العروس، توكل على الله، لن تخسر شيئًا ولن تُجبر على شيء.

صمت قليلًا وأردف: جرب.

أومأ حسن برأسه وهو يقول:

-سأجرب.

*****

قلب صفحة الجريدة التي في يده، بعدما أنهى قراءتها وشرع في قراءة الصفحة التالية عقد حاجبيه وهو يقرأ أول خبر بالخط العريض "ارتفاع سعر الدولار وهبوط الجنيه المصري"، كل ذلك يؤثر على تجارته؛ فهو يملك شركة استيراد وتصدير ويستورد بالدولار.. كل شيء في تلك الأيام يراه ينهار، إنه هشام والد ريماس، دق هاتفه قطعه من انغماسه في هذه الأخبار السيئة بالنسبة له.

كانت ريماس جالسة على الأرض قريبة منه ترسم، فقال هشام:

-ريماس، من فضلك ناوليني الهاتف.

قامت ريماس جلبته له وجلست كما كانت، كان المتصل رقمًا غير مُسجل، ترك هشام الهاتف وأكمل القراءة؛ فهو الأن في مزاج سيء ولا يريد أن يعكره أكثر، توقفت الرنة ثم أضاء الهاتف ثانيًا معلنًا عن معاودة الاتصال، أمسك هشام بالهاتف مستسلمًا ليفتح المكالمة، ولكن يبدو أن المتصل قد تراجع عن قراره وأنهى المكالمة سريعًا، شَرد هشام قليلًا؛ فوقع بصره على ما ترسمه ريماس، لفت نظره ما ترسمه؛ فترك الهاتف والجريدة واتجه إليها،

جلس جوارها متربعًا شعر أنه بحاجة إلى البُعد عن أجواء العمل وكل ما يتعلق به من ضغوط ولو قليلًا، فمعظم وقته للعمل حتى إن كان داخل المنزل يكون يتابعه بالإنترنت.

نظرت له ريماس مستغربة؛ فإنه لا يجلس معها ولا تراه إلا قليلًا، فابتسم هشام بدوره وقال:

-ماذا ترسمين؟

وجهت ريماس لوحتها إلى بصره، فأومأ برأسه وهو يقول:

-رائعة، ولكن ما دلالة اللوحة.

كانت اللوحة شجرة صغيرة، ولكن مرسومة بدقة عالية وأحد أوراقها كبيرة جدًا.

فقالت ريماس:

-سألاعبك لعبة لتعرف دلالتها، اتفقنا؟

-اتفقنا.. ماهي اللعبة؟

-أن تجيب على أسئلتي.

-حسنًا، بسيطة تلك اللعبة.

-ماذا لفت نظرك في تلك الرسمة؟

قالتها ريماس وهي ناظرة لهشام، فقال وهو يشير إلى اللوحة:

-تلك الورقة الكبيرة.

-ولنفترض أن هذه الشجرة هي الدنيا، وكل ورقة من ورقاتها تمثل لك شيئًا، فماذا ستكون تلك الورقة الكبيرة؟

أحب أبوها اللعبة، فقال من دون تفكير:

-ستكون ورقة العمل.

قطبت ريماس جبينها، وقالت بخيبة تخالط صوتها وهي تدير له اللوحة وتشير على جملة مدونة خلفها:

- عنوان تلك اللوحة "من يريد شيئًا لا يرى سواه" يا أبي. صمتت قليلًا وأردفت: كنت أود أن ترى تلك الورقة أنا وأمي.

من دون قصد تعلّمت ريماس من شادي الكثير.

فهم هشام ما تريد صغيرته قوله، فنهض ودلف حجرته؛ فقد حزِن للحقيقة التي اكتشفها للتو.

أنه مُخطيء كان يظن أنه بانشغاله عنها لجمع الأموال لها سيسعدها ولكنه اكتشف أن سعادتها لا تكتمل إلا بشعور قربه لها.

*****

-أليس واجب علينا أن نزور مصطفى ونطمئن على صحته يا خالة؟

قالتها عالية لسلوى والدة مروة وهما جالستين في المصحّة قبالة الغرفة التي ترقد بها مروة، وضعت سلوى أحد كفيها على جبينها متذكرة، وقالت:

-ذكرتِني، لقد انشغلت بمروة كثيرًا.

نهضت وهي تتكئ على عصاها وقالت:

-هيا إذن قومي لنسأل عن غرفته ونذهب له.

قامت عالية وتأبطت ذراع سلوى واتجها إلى غرفة الاستعلامات؛ ليستعلما عن غرفة مصطفى، منذ أن فاق ونُقل غرفة أخرى وهم لا يعلمون عنه شيئًا، استعلما عن غرفته واستقلا الاثنان المصعد الكهربائي، وصعدا عنده، طرقت عالية باب الغرفة وانتظرا قليلًا.

كانت راجية والدة مصطفى جالسة بجواره، هو صامت وهي كذلك، سمعت طرقات الباب ظنتها ممرضة كما ظنّ مصطفى أيضًا، فقد اتفق مصطفى مع أمه أن تقول لأصدقائه وأقاربه أن الزيارة ممنوعة له، قامت لتفتح الباب فوجدت عالية وسلوى، فابتسمت عندما رأتهما وأفسحت لهما الطريق؛ ليدلفا.

لم تكن الحجرة بها مقاعد سوى مقعد متحرك وسرير للمريض وآخر لمرافقه، فقالت راجية:

-معذرة لا يوجد مقاعد. وأردفت وهي تشير نحو السرير الذي تبيت عليه: اجلسا هنا.

بعد أن جلس الاثنان نظرت راجية إلى مصطفى فوجدته متظاهرًا بالنوم، فقالت:

-إنه نائم الآن.

قالت سلوى:

-كيف حاله؟

فقالت راجية:

-بخير حال الحمد لله.

-طمأنكِ الله عليه يا خالة.

قالتها عالية، وابتسمت راجية وقالت:

-آمين.. وكيف حال مروة، آسفة منشغلة عنها بمصطفى.

قالت سلوى بحزن:

-عذركِ معكِ.. يقول الطبيب أنها تستجيب للعقاقير، ولكن حتى الآن في غيبوبتها؛ فلا تنسِها من دعواتِك.

-عافاها الله هي ومصطفى وجميع المرضى.

-آمين.

قالتها سلوى وهي تنهض، وأردفت:

-هيا يا عالية.

قامت عالية، وقالت راجية:

-اجلسوا قليلًا، لمَ متعجلين هكذا؟

-اطمئنَنَّا علَيه، وصَّلي له سلامنا عندما يستيقظ.

قالتها سلوى وهي تسير تجاه الباب.

قالت راجية:

-سيصل إن شاء الله.. أشكركم كثيرًا، طمئنوني على مروة من حين لآخر.

-إن شاء الله.

قالتها سلوى بعدما ابتعدا، وفور إغلاق راجية الباب قال مصطفى بضيق شديد:

-لمَ أدخلِهم يروني هكذا.. لا أريد رؤية أحد، قُلت لكِ ذلك أمس وأول وأول.

-جاءا ليطمئنّا عليك، لا يصح أن لا أدخلهم.

-ويصح أنهم يروني طريح الفراش هكذا لا أقدر على شيء، أليس كذلك؟!

قال ذلك بصوت مرتفع، فقالت راجية بهدوء:

-حبيبي، أُقدّر ما أنت فيه، ولكن قُم بوضع نفسك موضعي، هل تقدر أن ترد زائر.. رددّت أصدقائك أمس وندمت على ذلك وشعرت بقلة ذوقي كثيرًا!

أطبق مصطفى شفتيه ولف رأسه للجهة الأخرى وقال:

-لا يصح يا أمي أن يروني هكذا لا يصح... قولي لأحد الممرضات تقول أن الزيارة ممنوعة لي لا أريد رؤية أي أحد

*****

كان فارس في مطبخه يعد له كوبًا من الشاي، وضع الماء في السخان الكهربي ووضع ثلاث ملاعق من السكر ونصف ملعقة من الشاي في كوب ووقف ينتظر الماء أن يغلي، أثناء انتظاره نظر في ساعة يده وجدها الخامسة عصرًا، يعلم أن حسن صديقه يستعد الآن لزيارة العروس فاليوم هو الجمعة، أخرج هاتفه من جيبه الخلفي وكتب رقمه وضغط اتصال، فتح حسن المكالمة وهو يقول مداعبًا:

-ليس وقتك بالمرة.

-أُريدك أن تهاتفني بعد ساعة من الآن لأقول لك مبارك، وإن زِدت عن ساعة لا بأس؛ فربما تعجبك العروس وتود أن لا تتركها.

قال الأخيرة ضاحكًا.

-كُفّ عن سخافتك تلك، إنني مرتبك جدًا لا أعرف ماذا يقال في تلك المواقف، وتعرف أنها أول مرة أن أتعرض لموقف كهذا.

-لا تكُن ليّنًا هكذا.. إنه موقف عادي جدًا. وأردف ضاحكًا: ولو أنت كذلك، فما بال العروس؟!

-أنك بذلك تربكني أكثر، أغلق الخط يا فارس.. أغلق.

-هذا أفضل، فقد غليَ ماء الشاي ولن تنفعني إذا جف، هيا اسمع صوت القطار.

قال ذلك وأغلق المكالمة في وجه حسن مداعبًا، وصَّب الماء في الكوب.

*****

-عرفتُ أن اسمك رغد.

قالها حسن مرتبكًا للعروس وهو جالس على مقعد أمامها بعدما تركهما الجميع للرؤية الشرعية وجلس أبوها على مقربة منهما.

قالت رغد وهي تومئ برأسها:

-أجل.

ازدرد حسن ريقه، وقال مبتسمًا:

-هذا كل ما عرفته، يمكنك الإضافة إذا أردتِ.

قالت رغد وهي تفرك كفيها ببعضهما في محاولة للسيطرة على خجلها:

-عمري 22 عامًا، تخرجت هذا العام من كلية الآداب قسم لغة عربية، ولكن لا أحب هذا المجال، أريد أن أكون مصورة عالمية. تحولت لهجتها إلى سؤال وقالت:

-تحب التصوير؟!

-يروقني أحيانًا، ولكني غير مهتم به؛ لذلك لستُ بارعًا فيه.

-إن جربت أن تصور كل شيء تراه جميلًا ستحبه وستكون مهووسًا به.

-بالتأكيد عندك كاميرا أليس كذلك؟!

ابتسمت وهي تقول:

-لا للأسف، أصور بعدسة هاتفي، ولكن قريبًا سيكون عندي.. منذ ثلاث سنوات وأنا أدّخر لها من مصروفي، وقريبًا سأكون جمعت مبلغها.

ضحك حسن وقال:

-ثلاث سنوات وأنتِ تدخرين؟!

-أجل حتى أحصل على النوع الذي أريد، كان باستطاعتي أن يكون عندي قبل ذلك بكثير، ولكني أريد كاميرا طراز معين ثمنه 21,500 جنيه.

-ومن حبّبَكِ في التصوير إذن؟

-لا أحد. وأردفت ضاحكة: وُلدتُ هكذا.. أريكَ أشياء من تصويري؟

-بالطبع بكل سرور.

فتحت استديو هاتفها وفتحت مجلد معين، أعطته له وهي تقول:

-قَلب لليسار، هم خمس صور فقط؛ لأن هذه ذاكرة جديدة.

أخذه حسن وظل يقلب وهو مبهور بروعة تصويرها، أنهى رؤيته لهم وأعطاها الهاتف وهو يقول:

-موهبة جميلة جدًا.. تصويرك رائع.

أخذته وهي تقول:

-شكرًا. وأردفت :ولكن أنا أيضًا عرفت أن اسمك حسن سعيد، وأنك صيدلي، وهذا كل ما عرفته.

تلاشى ارتباك حسن قليلًا وقال:

-عمري 29 عام، تخرجت من كلية الصيدلة منذ6 سنوات، وأعمل في صيدليتي.

-وتحب مهنتك؟

-أجل.

قال ذلك وهمَّ أن يقول شيئًا آخر، ولكن قطع حديثهما أسامة والد رغد بعدما دخل وهو يحمل صينية عليها أكواب من الشاي، أعطى حسن كوبًا وقال مداعبًا:

-بالتأكيد رغد صدعتك عن التصوير.

ضحك حسن وقال:

-بالعكس، إنها حبَّبَتْني به.

*****

-ما رأيك في العروس، قمر أليس كذلك؟

قالتها والدة حسن بعدما غادرا شقة العروس أثناء عودتهما إلى المنزل.

-لا أعرف.

قالت والدته باستغراب:

-ما الذي لا تعرفه؟! جلست معها وكان يبدو عليكَ القبول.

-سأصلي استخارة وأفكر، لا تتعجلي يا أمي.

-ألم ترى أخاك محمد كيف هي زيجته؟ حلوة؛ لأن زوجته من اختياري، اسمعني... لن أضرك، إنها ذات حسب ونسب، أنا لي نظرة وأرى فيها حُسن الخُلق.

قال حسن بنفاذ صبر:

-قُلت لكِ سأفكر يا أمي.

*****

طرق حسن باب شقة فارس، لم يلبث كثيرًا حتى أخرج مفاتيحه وانتقى مفتاح الشقة وفتح الباب وأغلقه وراءه، دخل لم يجد فارس في الصالة.

-فارس.

قالها وهو يدلف حجرة نومه لم يجده أيضًا، فخرج إلى الصالة مرة أخرى وجلس على الأريكة، وجد كتابًا بجواره مفتوح مقلوبًا على صفحة معينة، أخذه ونظر إلى رقم الصفحة وقلّب فيه، لم يجذبه ففتح الصفحة التي كان عليها ووضعه كما كان، أخرج هاتفه واتصل بفارس الذي فتح المكالمة وقال:

-من؟!

عوج حسن شفتيه وقال باستغراب:

-من؟! أنت تائه أم ماذا؟! أين أنت أنا في شقتك؟

-أنا فوق سطح العقار اصعد، الطقس هنا رائع.

-حسناَ أغلق، سوف أصعد.

صعد حسن من الطابق الثاني إلى الخامس، وحين وصل إلى الخامس ارتقى السُلم الحديدي الذي يفصله عن السطح، فوجد فارس جالسًا على أحد أسوار البناية واضعًا سماعتَي الهاتف في أذنيه ومستندًا بذراعيه على السور وينظر إلى السماء مغمضًا عينيه، فجلس حسن بجواره بنفس وضعه، وقال:

-باعتبار أنني جئت على غفلة مثلًا.

ابتسم فارس وهو مازال مغمضًا عينيه وقال:

-رددتُ على مكالمتك وأنا مغمض هكذا.. لا داعي لأي حديث الآن، ألقِ نظرة عامة على السماء.. دقق في النجوم والقمر ثم أغلق عينيك.. ستشعر أنك في السماء وتدور من حولك النجوم.

لم يتكلم حسن وفعل كما قال له فارس، وظل الاثنان على ذات الوضع قرابة الثلاث دقائق، حتى فتح حسن عينيه ونظر إلى فارس باستغراب، وقال:

-ما هذا "الأوفر"؟! فارس، لم أشعر بأي شيء سوى أنَ من الممكن أن تهب عاصفة قوية الآن فجأة وتوقعني أسفل، وأتخيل الناس وهم يغطون جسدي بأوراق جرائد حتى تأتي الشرطة تحقق.. أريدك في موضوع هام.

ضحك فارس، وفتح عينيه وهو يقول:

-ماذا هناك؟ أعجبتك العروس؟

-هي حسنة الشكل والهيئة، ويبدو أنها طموحة وذكية، ولكن...

لم يجد كلمات مناسبة فصمت، فقال فارس:

-ولكن ماذا؟!

-ما زِلت أحب حبيبة.

نظر له فارس بجانب عينيه وقال:

-كنت أعلم ذلك، ولكن هذا خطؤك يا صديقي، أنت من سمَحت لنفسك بذلك، كيف تزال تحب من هجرك وهو يعلم أن لا حياة لك بدونه؟ تلك كافية بأن لا تفكر فيه.

-ليس بيدي يا فارس، حاولت كثيرًا أن أتناسى وأكرهها ولكني أفشل، كلما أغمضتُ عيني رأيتها.

-ألم تمَل ذلك؟!

-بالطبع مَلَلت، ولكن لم يزيدني الملل إلا شوقًا.

أطرق حسن رأسه إلى الأرض، وأردف بغصة تخالط صوته:

-أتعلم... أوقات كثير أتخيل أنها بجوار رجلٍ آخر فأبكي، لا أعلم كيف هُنت عليها بهذه الدرجة.

نزل فارس من فوق السور ووضع يديه في جيوب بنطاله، ووقف أمام حسن وقال وهو يميل رقبته لليسار قليلًا:

-أنك ضعيف جدًا يا حسن.

قال ذلك وتركه، ووقف أمام السور جواره، استند عليه بكفيه، بعد صمت قليل أكمل حديثه:

-حبيبة تركتك وتزوجت بآخر سواء غصبها أهلها على هذه الزيجة أم لا، لن يتغير الأمر ولن تعود إليك ثانية، لابد أن تعي ذلك جيدًا، فكر في نفسك قليلًا، لا تكن زاهدًا فيها كذلك..

إنك لن تعيش سوى حياة واحدة، والحياة بها ما هو أجمل من البؤس.

-ليس بهذه السهولة.

-صدقني ستندم فيما بعد على تعاستك هذه وانتظار ما لا يأتي.

صمت حسن، فنظر له فارس وقال:

-ما اسم العروس؟

-رغد.

-إذا كانت رغد مناسبة لك توكل على الله وتزوجها، ولكن لا تقدم على تلك الخطوة إلا وأنت متخذ قرارًا أن لا تفكر في حبيبة مرة ثانية، وذلك لم يكن صعبًا، هو فقط قرار تتخذه؛ لأن رغد ليس لها ذنب في ذلك.

*****

مرت أيام وتعافى مصطفى قليلًا من آلام ما بعد الجراحة، وبعد عدة جلسات علاجية منفردة مع طبيب نفسي أمر الطبيب بنقله إلى غرفة أخرى للتأهيل النفسي مع من يتشابهون بحالته،

دفعته الممرضة بالمقعد المتحرك إليها، وقفت عند الباب، كان بها مريضين واحدًا مستلقي على سريره في زاوية الغرفة يقرأ كتابًا، كان فاقدًا ساقه اليسرى واليمنى مبتورة حتى الركبة، وفاقد ذراعه الأيسر أيضًا.. والآخر جالس على مقعد متحرك أمام نافذة الحجرة شاردًا وساقه اليسرى مبتورة حتى الركبة، فقالت الممرضة وهي واقفة خلف مصطفى:

-مرحبًا حسام وأحمد، كيف حالكما؟

نظر لهما أحمد النائم على سريره وتفحص مصطفى من رأسه حتى نهاية ساقيه ولم يردّ،

بينما نظر لهما حسام وتفحص مصطفى أيضًا، وقال:

-أنا بخير.

قالت دنيا الممرضة:

-هذا مصطفى صديقكما الجديد بالغرفة، سيسكن معكما، تعرفا عليه.

قالت ذلك وزجته جوار مقعد حسام، وتركتهما وهي تقول:

-سأمر عليكم بعد قليل، أتمنى أن تكون الأمور على ما يرام.

*****

أثناء عودة شادي وريماس من المدرسة بصحبة بعضهما -كما العادة-، قال شادي أثناء سيرهما:

-ريماس، أنا فكرت كثيرًا في وضعنا، ورأيت أنَّ.....

قبل أن يُكَمِل حديثه قاطعته ريماس قائلة:

-ماذا تقصد بوضعنا؟!

-شهور قليلة وتسافرين إلى أمريكا، سيكون بيننا بلاد، وأنتِ ربما تكونين الآن منساقة وراء عواطفك، ولن يكون أنا الشخص الذي تريدينه عندما تكبرين.

قاطعته ريماس ثانية:

-لا أفهم ما تريد قوله.

نظر لها شادي بجانب عينيه وهو يزفر، وقال:

-لابد أن نحدد مصير علاقتنا من الآن.. سنستمر معاً رغم المسافات، أم تنتهي علاقتنا من الآن.. هذا القرار لكِ أنتِ.

ازدردت ريماس ريقها وقالت:

-ولمَ لا تقرر أنت؟

-لأن قراري متوقف على قرارك أنتِ.

قالت ريماس بغصة:

-أنت قُلت "من يريد شيئًا لا يرى سواه"، ماذا حدث؟!

نظر لها شادي وقال:

-لمَ توشكين على البكاء؟

مسحت ريماس عبرة سقطت منها دون قصد بطرف أصابعها وهي تقول:

-لا أبكي.. على ماذا أبكي؟

-ريماس، أنا أقول ذلك لمصلحتك أنتِ.. غير مفكر في نفسي حتى أعطيتكِ أنتِ الاختيار؛ لأنني لن أحب غيرك، ينظر الناس إلينا على أننا مراهقَين مشاعرنا متقلبة، ولكن أنا منذ عرفتك عرفت ما هو الحُب، كيف لي أن أحب غيركِ وأنا بكِ عرفت الحب؟ حتى أنتِ إن اتخذتِ قرار إنهاء العلاقة سأظل أحبك.

شعر بدموع ريماس تتساقط، فقال وهو يبتلع بكاءه:

-أنا قُلت ذلك لأنني خائف جدًا.. خائف بعد أن تسافري وتنقطع لقاءاتنا تجدين البديل، قُلت ذلك لكي تطمئنيني وتقولي أن علاقتنا ستستمر رغم المسافات ورغم كل شيء.

مسحت ريماس عينيها بكم سُترتها وهي تقول:

-اطمئن، أنت ليس لكَ بديل.

ابتسم شادي مطمئنًا.

*****

-حقًا؟ .. متى؟

قالتها عالية مسرورة وهي تحدث سلوى والدة مروة في الهاتف بعد أن أخبرتها أن مروة استفاقت من غيبوبتها الطويلة التي استمرت لأربعة أسابيع،

قالت سلوى:

-الثانية صباحًا بلغوني وأبلغت أشقائها وانتظرت حتى طلع النهار وذهبت لها في موعد بدء الزيارة، وأنا عندها الآن، ولكنها مازالت نائمة.

-حسنًا، سأستأذن من العمل الآن وآتي، لا تعلمين مدى فرحتي الآن يا خالة.

-الحمد لله حمدًا كثيرًا.

-الحمد لله، هيا أغلقي الهاتف، مسافة الطريق وأكون بالمصحة.

فور إغلاق عالية هاتفها النقال استأذنت من منال رئيستها في العمل فسمحت لها، خرجت من عملها واتجهت إلى محل زهور، ابتاعت منه باقة واتجهت إلى المصحة التي بها مروة، بينما هي في طريقها إلى حجرة مروة عبر الردهة المؤدية إليها وجدَت أمها وشقيقتيها وأطفالهما جالسِين على المقاعد التي أمام الحجرة، فتوقفت قليلًا ثم أكملت سيرها، وقالت موجهة حديثها لهم جميعًا:

-أين مروة؟ هل يجرون لها فحوصات؟

قالت سلوى:

-نعم، يقولون أن عندها التهابات على الرئة أثر الغيبوبة، ولكنهم طمأنونا أنها ستكون بخير.

*****

-غداً الجمعة، تعرف ماذا يعني ذلك؟

قالها فارس محدثًا حسن وهو جالس جواره مساءً في الصيدلية بعدما قلّ توافد المرضى والأصحاء الذين يجلبون الأدوية لذويهم المرضى،

فقال حسن:

-ماذا يعني ذلك؟!

-سيكون مر أسبوع على مقابلتك لرغد، ما زِلتَ لم تتخذ القرار؟

-حتى الآن في حيرة من أمري، خائف أن أظلمها.

-ستتخذ القرار الآن هيا، ماذا؟ ستخطبها أم لا؟

-رويدك، حقًا أنا في حيرة شديدة.

قال فارس محمسًا إياه:

-أنهِ الحيرة الآن واحسم الأمر، هيَّا ما القرار؟

-ولكن ماذا إن لم أقدر على نسيان حبيبة؟

-ستنساها.

-وماذا إن لم توافق رغد من الأساس؟

-شعرتَ بالقبول من ناحيتها أم لا؟

قوس حسن شفتيه لأسفل، وقال:

-لا أعرف.

طمأنه فارس وقال:

-لا داعي للقلق، هاتف أباها الآن واحسم الأمر.

ابتسم حسن، وقال متحمسًا:

-حسنًا سأفعل.

على الفور أخذ هاتفه من فوق مكتبه وهاتف أسامة أباها، الذي فتح المكالمة وقال:

-مرحبًا.

ابتلع حسن ريقه وقال:

-مرحبًا عمي أسامة.

-كيف حالك يا حسن؟
-بخير أحمد الله، أود معرفة رأي رغد.
-يوم الخميس القادم اجلب والدتك وأخاك لنتفق.
ابتسم حسن، وقال مسرورًا:
-تمت الموافقة إذن.
قال أسامة مداعبًا:
-بالطبع.. لا تثق بنفسك أم ماذا؟!
ضحك حسن وهو يقول:
-حسنًا، سنأتي في الموعد إن شاء الله.
أغلق معه، ونظر لفارس وهو يقول:
-لا أعلم لماذا سُررْت بذلك.
ابتسم فارس، وقال غامزًا إحدى عينيه:
-من هنا ستبدأ البداية.

*****

وقت الظهيرة أثناء ذروة سطوع أشعة الشمس على الأرض كان مصطفى جالسًا بمقعده المتحرك أمام نافذة الغرفة، ومتسلط على وجهه بعض من خيوط أشعة الشمس من خلف زجاج النافذة، كان ينظر بشرود ومقلصًا وجهه.

فاتجه حسام نحوه بالمقعد المتحرك عند النافذة، وقال:
-ما رأيك إن نزلنا إلى الحديقة؟ الطقس هناك لطيف.
نظر مصطفى له وقال:
-هنا أفضل.

ابتسم حسام وقال:

-كما تُحب.

نظر مصطفى إلى أحمد -رفيقهم الثالث في الغرفة- وجده جالسًا على السرير معه كراسة يدوّن بها بيده المتعافية.

فقال محدثًا حسام:

-هل يظل طوال الوقت كذلك إما يقرأ وإما يكتب؟!

أومأ حسام برأسه وقال:

-أنا هنا قبل أن تأتي أنت بثلاثة أيام لا أعرف، ولكنه لا يتحدث إليَّ إلا قليلًا، إذا لزم الأمر فقط.

أومأ مصطفى برأسه صامتًا، فقال حسام:

-إنه مسكين جدًا؛ كان يوصل أسلاك كهرباء إلى مكبرات صوت لمسبَح ولمسَت الكهرباء الماء فأفقدته أطرافه الثلاثة، بعد أسبوعين من تلك الحادثة تركته حبيبته.

تأذى مصطفى لذلك الحديث فقال:

-كان الله في عونه.

-آمين.

-ومن أين عرفت تلك القصة طالما أنه لم يتحدث؟

-دنيا الممرضة هي التي أخبرتني غير قاصدة الفِتنة، أوقات تأتي تجلس معي عندما أكون بالأسفل في الحديقة.

*****

-كأنها بُدّلت يا فارس أثناء الغيبوبة... اليوم عندما سمحوا لنا بزيارتها كنت لا أشعر أن تلك هي صديقتي، كانت مبتسمة لي فقط.

قالتها عالية وهي جالسة متربعة على سريرها تحدث فارس عبر الهاتف، فقال فارس الذي كان نائمًا على ظهره وموصل بأذنيه سماعتين يتحدث عبرهما وبيده عملة معدنية يقذفها لأعلى ويلتقفها:

-ربما يكون ذلك الطبيعي لحالتها، ستتحسن إن شاء الله.

-أتمنى ذلك.

-وماذا عن خطيبها؟

-لم أره غير مرة واحدة وكان نائمًا، معلوماتي عنه الآن أنه مازال بالمصحة للتأهيل النفسي.

-أقصد لم تسأل عنه؟

-سألت وقُلنا لها أنه سيأتي لها خلال تلك الأيام، لا تعرف أن ساقَيه بُترا.

-جيد، هذا يعني أن ذاكرتها لم تتضرر.. كان الله في عونهما.

*****

في اليوم التالي بعد إلحاح كثير من حسام انصاع مصطفى لأمره ونزل معه عبر المصعد الكهربائي إلى حديقة المصحة.

-سيجارة؟

قالها حسام لمصطفى بعدما استلّ سيجارة من علبته، فقال مصطفى:

-لا أدخن.

-لا أعلم هل كذلك فاتك الكثير؟ أم ينقصني أنا الكثير لأقلع عنها؟!

-ولماذا يكون فاتني الكثير؟! هذه سموم.

قاطعه حسام وهو يشعل سيجارته قائلاً:

-بالضبط، هذه سموم وأنت تضعها بين أسنانك. أكمل وهو يجز بفكيه عليها وقال: هكذا.

أردف وهو ينفث دخانه:

-أنا أتخيل أنها السموم التي في عقول البشر؛ لذلك كلما أُشعلت سيجارة وأنفث دخانها إلى أن تنتهي وأطرح العُقب أرضاً ثم أدوسه بقدمي أشعر وكأنني فعلتُ إنجازًا مثلًا.

ضحك بعدما نفث سحابة دخان، ونظر له قائلاً:

-رأيت السموم وأنا أحرقها؟

قال مصطفى وهو ينظر له:

-لماذا بُترت ساقك؟!

-عندي مرض السكري وراثة عن أبي. ضحك ساخرًا وهو يقول:

-لم أرث منه سوى المرض، المهم أنني جُرحت جرحًا كبيرًا بساقي، وكان من المفترض أن أذهب لطبيب لكي يسعفه بطريقة صحيحة، ولكني ضمدته بنفسي، وبالطبع بطريقة خاطئة فتلوث الجرح، وكان لا يتم معالجته حتى يُبتر.

قوّس شفتَيه للأسفل وهو يقول:

-هذا كل ما جرى.

أومأ مصطفى برأسه صامتًا، فقال حسام:

-أعلم أن لا رغبة لك في الحديث ولا في شيء عمومًا، ولكن لا أعلم لماذا أريد التحدث معك.

-ربما لأني أشبهُك قليلًا في الإعاقة.

-ربما.

قالها حسام وهو يدوس بقدمه المتعافية على عُقب سيجارته فور انتهائه من تدخينها، فقال مصطفى وهو ينظر له:

-لماذا أنت هكذا؟

قال حسام باستغراب:

-يبدو أنك تعاني من الزهايمر بجانب فقد ساقيك.. لم تمر دقيقة على قصّي لك سبب بتر ساقي.

أومأ مصطفى برأسه يمينًا وسيارًا وهو يقول:

-لمَ أنت بائس؛ فقد كنت بائسًا من قبل بتره وإلا لم تكُن لتضمده بنفسك.

-لأني مُحاط بمجموعة من المعاتيه، أبلغ من العمر 28 عامًا، وتلك الأعوام كلها خذلان أصدقائي... أقاربي... حبيباتي، كل شيء. صمت قليلًا وأردف: ألم أقل لك مُحاط بمجموعة من المعاتيه.

وأردف زاهدًا:

- لا تشغل رأسك.. أصبحت أكره كل البشر، واقتنعت أنه لا يوجد حُب غير مشروط، لا أحد يفعل شيئًا دون مقابل، حتى الحب أسمى شيء في الوجود أصبح مُشوهًا.

-وما الذنب الذي اقترفته ليحدث ذلك؟!

-ذنبي هو أني كنت متاحًا لهم متى أرادوا، ولأن فطرة البشر لا ترغب في المتاح وتميل لقاطع الوصال تركوني، خذ بنصيحتي كُن أنانيًا وأحِبّ نفسك أكثر، لا أحد يستحق.

كان حسام زاهدًا في حياته لدرجة أنه يدخن أكثر من ثلاث علب سجائر في اليوم الواحد، لا يراه أحد إلا وفي فمه سيجارة، لا يعبأُ بصحته ولا بشيء ضاربًا بنصائح الطبيب عرض الحائط.

*****

-ألن يأتي مصطفى يا أمي؟ فقد مرت خمسة أيام وحتى الآن لم يأت، وكل يوم تقولين سيأتي، ربما اليوم أو غداً، أريد أن أطمئن عليه.

قالتها مروة لأمها، ملّت سلوى من كثرة سؤال مروة عليه، فقالت لها جزءًا من الحقيقة:

-جاءت أمه وأنتِ نائمة وتقول أنه بخير، ولكنه مازال هنا بالمصحة ولا يريد رؤية أحد، حتى أمه وشقيقته وأصدقائه.

قالت مروة بغصّة تخالط صوتها:

-حتى أنا؟

-لا أعلم.

-أمي، ماذا جرى؟ هل حدث له مكروه؟! بالله أخبريني كفَى حججًا، أنا لستُ صغيرة.

-أقسم لكِ أن هذا ما قالته لي راجية.

بكت مروة وهي تقول:

-ولماذا لم يأت ليراني حتى الآن إن كان بخير؟

-قُلت لكِ لا أعرف، صدقيني لا أعرف.

-حسنًا، سأعرف أنا طالما أنه لازال هنا.

قالتها مروة وهي تنزع خراطيم المحاليل من يدها، فقالت سلوى:

-مروة، إنك ما زِلتِ مرهقة جسديًا، وبكِ جروح، لا تذهبي.

-لا تخافي، أنا بخير.

قالتها مروة وهي تتجه نحو باب الغرفة، بينما ركضت سلوى خلفها، فرأتها قابلت في طريقها ممرضة،

فقالت لها مروة:

-هل لكِ أن تساعديني؟

وقفت الممرضة وأسندتها، وقالت باستغراب وهي تنظر لحالتها البالية:

-يبدو عليكِ الإرهاق، أنتِ محجوزة هنا، أليس كذلك؟

-نعم، وخطيبي محجوز هنا أيضًا، اسمه مصطفى سالم، أريد أن أذهب له.

-في أي غرفة هو؟

-لا أعلم.

-حسنًا، هيا نذهب إلى غرفة الاستعلامات؛ لنعلم رقم غرفته.

قالت الممرضة ذلك وأسندتها وهي تسير.

رأت سلوى ذلك فاطمأنت وعادت إلى مكانها ثانية.

*****

-تلك هي الغرفة رقم ٥٥.

قالتها الممرضة بعدما وقفت أمام تلك الغرفة، واستطردت:

-سأذهب أنا وآت بعد قليل لتعودي إلى غرفتك، إن لم آت سيكون بيدي شيء ستجدين غيري يساعدك.

أومأت مروة مبتسمة وهي تقول:

-حسناَ، أشكركِ كثيرًا.

طرقت لها الممرضة الباب وغادرت، اتجه حسام نحو الباب ليفتحه وجد مروة فقال:

-تريدين شيئًا؟

عادت مروة برأسها إلى الوراء تتأكد من رقم الغرفة وهي تقول:

- يبدو أني جئت غرفة خطأ.

سمع صوتها مصطفى فنظر تجاه الباب، تلاقت أعينهما بضع ثوان، كان مصطفى في ذاك الوقت يؤلمه بشدة شبح أطرافه، وجدته مروة على مقعد مُتحرك؛ صدمت من ما رأته عليه، لم تكُن صدمتها أقل من صدمته عندما علم بما آل إليه، أدار مصطفى المقعد واتجه ناحية النافذة، دلفت مروة متجهة إليه وقالت مرتبكة وهي مستندة على مقعده المتحرك:

-أنت بخير؟

أومأ مصطفى برأسه وهو يقول:

-بخير.

-افتقدتك.

ابتلعت ريقها واستطردت:

-كثيرًا.

فقال مصطفى متحملًا ألمه دون أن ينظر لها:

-لا داعي لهذا الحديث يا مروة.

نظرت حولها فوجدت حسام وأحمد يتابعونهما بأعينهما، فسألته ثانيةً متجاهلة وجودهم:

-هل أنت بخير؟ أشعر وكأنك تتألم.

ظل مصطفى صامتًا بعض الوقت يحاول أن لا يُظهر ألمه ويتضارب في عقله ما قاله له حسام عن حبيبة أحمد التي تركته بعدما بُترت أطرافه، أشياء كثيرة يفكر بها ومشاعر مختلطة بين شوق لها وخوف من القادم، فقالت مروة:

-مصطفى، هل أنت بخير؟!

لم يستطع تحمل الألم أكثر من ذلك، فخلع دبلته من شماله، ونظر لها قائلًا بضيق:

-اذهبي إلى غرفتك يا مروة ولا تأتيني ثانية.

هزت مروة رأسها يمينًا ويسارًا في حركة لا إرادية منها كأنها ترفض ما سمعته وما تراه، وقالت بغير إدراك:

-ماذا تقول؟!

اتجه بالمقعد بعيدًا عنها وقال:

-كما ترين؛ أصبحت معاقًا لا أصلح لشيء، علاقتنا انتهت الآن، لا مجال للحديث بيننا بعد اليوم، هيا اذهبي إلى غرفتك.

أشار لها بسبابته وهو يقول:

-لا تأتيني ثانيًا، ولا تهملي صحتك هكذا.

ابتلعت مروة ريقها، وقالت دامعة:

-أخبرني أنك تمزح أو أنني في كابوس.

مرّت الممرضة التي ساعدتها من أمام الحجرة، فقالت وهي واقفة عند الباب:

-إنني ذاهبة إلى المبنى الآخر، ستذهبين إلى غرفتك الآن أم ستبقِي هنا؟

-ستذهب الآن.

قالها مصطفى وهو يتجه بالمقعد نحو الباب، واستطرد:

-هيا خذيها، أريد أن أغلق الباب.

ظلت مروة ناظرة لمصطفى وهي تسحبها الممرضة غير مقتنعة أن ذاك مصطفى أو أن تلك حقيقة، تتمنى لو يكون كابوسًا سخيفًا وتستفيق منه كما استفاقت من غيبوبتها الطويلة.

غادرت بها الممرضة من الغرفة؛ فأغلق مصطفى الباب خلفهما واتجه إلى دولابه، فنطق أحمد قائلًا:

-هؤلاء النساء لديهم أوضاع فيزيائية وفسيولوجية كالحرباوات؛ يتلونون في كل موقف، تجعل من يراهم يصدقهم.

لم يكن مصطفى في حالة تتطلب الرد عليه، فتح دولابه وأخرج عقاقيره وأخذ منها قرصًا مسكنًا للألآم، وضعه في فمه دون ماء حتى ذهب إلى سريره وأخذ كوبًا من جواره وتجرعه كله دفعة واحدة؛ ليذهب طعم العقار من حلقه.

*****

-أنتِ بخير؟!

قالتها الممرضة وهي تساعد مروة للاستلقاء على سريرها، لم تجبها مروة، فقالت سلوى والدتها:

-شكرًا لكِ على مساعدتها، واطمئني؛ ستكون بخير.

أومأت الممرضة برأسها وقالت:

-هذا واجبي.

وغادرت الغرفة.

لم تتفاجأ سلوى من عودة ابنتها باكية، كانت تظنها تبكي؛ لفقد مصطفى ساقيه، فقربت المقعد من سرير مروة وجلست عليه، وقالت:

-هذا نصيبه، لا تعترضي على قضاء الله.

تعالت شهقات مروة أكثر، لاذت سلوى بالصمت قليلًا ثم قالت:

-يجب أن تهوني عليه لا تضعفي أنتِ، كثيرون يفقدون سيقانهم ويرتدون أطرافًا صناعية.

نطقت مروة أخيرًا وقالت وسط بكائها:

-لم يفقد ساقيه فقط يا أمي، هذا هيّن، ولكنه فقد قلبه أيضًا.

أن تفقد ذراعك أو ساقك أو أي شيء هذا أمر يخصك وحدك، ومن الممكن أن يعوضوا بأطراف صناعية وكل شيء له بديل، أما أن تفقد قلبك فقد يترتب عليه ضحايا أبرياء ليس لهم أي ذنب سوى أنهم قد أحبوك يومًا بصدق.

*****

قامت رغد وهي سعيدة من وسط أبويها لتلتقط بعض الصور؛ فقد يجلس الآن حسن ووالدته وشقيقه ويقرأون فاتحتها هي وحسن بعدما اتفقا على كل شيء بخصوص زيجتهم، واقترحت هناء والدة حسن أن يقرؤوا الفاتحة الآن، ورحب أسامة وماجدة والدة رغد بهذا الاقتراح، صورت رغد حسن وهو يرفع كفيه أمامه ويقرأ الفاتحة، نظر لها وهي تلتقط الصورة فابتسم، فابتسمت هي الأخرى بدورها وأشارت له بإبهامها.

كانت تبدأ علاقتهما في الوقت الذي تنتهي فيه علاقة مروة ومصطفى، هكذا هي الدنيا تبسط كفيها لأناس بينما تصفع بهما آخرين.

*****

توالت الأيام وتوجه فارس إلى بيت أمه؛ فهو في عطلة عن العمل هذه الأيام، دلف العقار وصعد إلى شقتهم... طرق الباب بطرقته المميزة، اتجهت أمينة سريعًا إلى الباب وهي مسرورة، وقالت وهي تفتح:

-رغم أنك جئت كثيرًا الأيام الماضية، ولكني شعُرت أنك ستأتي اليوم وقمت بتحضير الطعام الذي تحبه؛ مكرونة بالباشاميل وأذبتُ الباشاميل كما تحبه.

قبّلها فارس من جبينها وقال:

-إنكِ أحسن ما في حياتي.

أغلقت أمينة الباب وهي تقول مداعبة:

-سأقول لخطيبتك على هذا.

ضحك فارس قائلًا:

-هي تعرف ذلك جيدًا.

جلس فارس على الأريكة، رأى تماثيل أخيه مرصوصة أمامه، فقال باستغراب:

-ما هذا؟! لماذا يضع شادي تحف كهذه في ذلك المكان؟

جلست جواره أمينة وقالت:

-كان يحضّرهم لجلسة نظافة، ولكن وجد ميعاد الدرس قد حان فتركهم كذلك، وعندما يأتي سينظفهم.. سيأتي بعد قليل.

-حسنًا سأنظفهم أنا، اجلبي لي ما ينظفهم به.

قامت أمينة جلبت له قِدرًا به ماء وسائل منظف وقطعتين من القماش، أخذهم فارس وجلس متربعًا أمام التحف والتماثيل وقال:

-لمَ قطعتين من القماش؟!

-ينظف بالقماشة المبللة ويجففهم بالجافة.

-حسنًا.

قالها فارس وهو يمسح تمثال بيده، جلست أمينة أمامه وقالت:

-ما أخبار عالية؟

قال فارس وهو ينظف ما في يده:

-بخير، ترسل لكِ سلامها.

-سلمها الله، متى ستتزوجان؟ أعجبتكم الخطوبة أم ماذا؟

-أقسم يا أمي أن الموضوع تلك الأيام مُعقد جدًا.

عقدت أمينة حاجبيها وقالت:

-كيف مُعقد؟!

-صديقة عالية تمر بأزمة كبيرة، بالتأكيد شهد قد أخبرتكِ أنها أصيبت بحادث منذ فترة.

أردف مداعبًا:

-أنا أعرفكم عندما تتحدثون في الهاتف تتصيدون أي شيء حدث، حتى من الممكن أن تخبرك أن ماجد زوجها استيقظ اليوم متأخرًا خمس دقائق على غير العادة فتضعي أنتِ إبهامك على وجنتك هكذا. واستطرد مقلدًا لها:

-وتقولي وأنتِ متأثرة؛ يبدو أنه في بداية اكتئاب، اعتني به وبطعامه جيدًا.

ضحكت أمينة ملء فيها وهي تقول:

-نعم، مرات كثيرة يحدث هذا، أنت تعرف الكثير. وأردفت بجدية: ولكن ماذا؟ هل صديقتها مازالت بالغيبوبة؟

-استفاقت منذ فترة ولكن تركها خطيبها ونفسيتها مُتدمرة، وعالية كذلك؛ لأن تربطهم صداقة قوية، أنها قصص كثيرة وغريبة لا تشغلي رأسك.

عقدت أمينة حاجبيها وقالت:

-كيف يتركها هذا الندل وهي في هذا الموقف الحرج؟

قال فارس وهو مستمرٌ في تنظيف التماثيل واحدًا إثر الآخر:

-لا أحد يعلم ما يمر به، أريحي عقلك يا أمي.

طرق شادي الباب، فقام فارس ليفتحه، دخل شادي صامتًا وجد تحفه نُظفت، فقال:

-من نظفها؟

قالت أمينة وهي تشير إلى فارس:

-فارس من نظفهم.

قال شادي مبتسمًا:

-شكرًا لكَ يا فارس.

فقالت أمينة:

-كيف كان الدرس؟ هل فهمته؟

أومأ شادي قائلًا:

-أجل.

-كنت أتحدث مع رانيا اليوم، وقالت أنهم قدموا في قرعة الهجرة العشوائية لأمريكا، هل سيهاجرون صحيح.

-أجل.

قالها شادي وأخذ بعض التماثيل ليضعهم في مكانهم، وجاء أخذ الآخرين، وقف فارس واضعًا يديه في خصره وأومأ برأسه قائلًا:

-لذلك يبدو عليه الضيق الواضح، تبًا للبؤس المُعدِي... الجميع من حولي يمُر بحالة سيئة.

ربتت أمينة على كتفه وقالت:

-لا تدع البؤس يتمكن منك، كُن أنت مصدر السعادة المُعدية لهم.

*****

خرجت عالية من عملها فوجدت فارس أمامها مستقل دراجة بخارية، مستندًا بأحد قدميه على الأرض ومُمسكًا باثنين من حلوى غزل البنات من عصاه البلاستيكية المُلتَف عليها يأكل في واحدة، ولا ينظر لها، ولكنه يعلم بوجودها.

عندما رأته ابتسمت وأقبلت عليه، وقفت تنظر له حتى رفع رأسه لها أخيرًا يعطيها واحدة وهو مازال منشغلًا بالتي يأكل منها حتى أنهاها، وقال:

-ستظلين تنظرين كثيرًا هكذا؟! واستطرد: هيا خذيها؛ ستذوب.. أتعلمين أنني استأجرت هذا" الموتوسيكل"؛ حتى لا تذوب وأنا قادم للكِ بها.

ضحكت باندهاش وقالت:

-لمَ كل هذا؟

-هذه مشكلتي أنا، أنني أحببت واحدة أحَبّ الأشياء لقلبها شيء لا يصمد كثيرًا حتى أعطيه لها، ولكني صراحة استأجرت الموتوسيكل لسبب آخر مع ذلك السبب.

-وما هو السبب الآخر؟!

-لكي أحقق للكِ أمنيتك عندما كنتِ مراهقة.

نظرت عالية للمارة حولها، يعلم أن تلك الأشياء تخجلها كثيرًا، فقال بلهجة آمرة:

-هيا خذيها. واستطرد مبتسمًا بلين: اعتبري أن أنا وأنتِ فقط في هذا المكان.

ضحكت وهي تأخذها، فقال لها:

-هيّا اصعدي ورائي.

أومأت برأسها رافعة حاجبيها دهشة وهي تقول:

-ورائك؟!

أومأ فارس ضامًا شفتيه وهو يقول:

-ورائي.

وقفت مرتبكة، فقال فارس:

-هيّا اصعدي.

صعدت مستسلمة بعدما أعطته الحلوى يمسكها لها، أمسكت في قميصه من الخلف، فقال فارس مداعبًا وهو يقود الدراجة البخارية:

-أشعر وكأنك ضابط مُمسك بمجرم.. ما هكذا تورد الإبل يا عالية

- وكيف تورد الإبل؟

زاد سرعة الدراجة فاحتضنته من الخلف ضحك فارس وهو يقول:

- هكذا

ثم أبطأ السرعة واستطرد وهو يعطيها الحلوى:

- خذي تناوليها على مهلك، سأسير ببطء لا تقلقي

أخذتها وقضمت قطعة منها وهي تقول:

-أتعلم أنني كنت على حق طوال السنوات التي كنت أظن فيها أن غزل البنات قِطع من السحاب، أنا أشعر الآن أنني في أعلى السماء آخذ منه وآكل.

*****

لم تصدق مروة ما قاله لها مصطفى، تظن أنه سيتراجع عن ذلك، ما كان بينهما لا يسمح بالذي حدث، قلبُها من يخبرها بهذا؛ يخبرها أنه يحبها ولا يقْدِر على فراقها مهما حدث له، وأنه لن يصمد كثيرًا وسيذهب لها معلنًا عن اشتياقه، وكيف أن الأيام بدونها كانت سيئة ويملؤها الفراغ، ولكن مرت أيام وأخبرها الطبيب أن أيام قليلة ويكتب لها على خروج.. كان ذلك سيكون خبرًا سارًا إذا لم يكن مصطفى في ذات المصحة، لم تصمد هي كثيرًا أمام اشتياقها له وأرادت أن تخبره بأمر خروجها علّه يسُرّ بذلك وينسى كل ما قاله،

فانتظرت حتى غفتْ سلوى جوارها وقامت من سريرها واتجهت إلى الباب، أغلقته خلفها وذهبت إلى غرفة مصطفى في المبنى المقابل، ابتلعت ريقها وطرقت الباب، كان مفتوحًا، ولكنها طرقته وانتظرَت، فقال أحمد:

-من بالباب؟

قالت مروة:

-أريد مصطفى.

اتجه حسام ناحية الباب، فتحه أكثر حتى ظهرت مروة أمامه، وقال:

-عنده جلسة الآن مع الطبيب، تفضلي انتظريه حتى يأتي.

-هل سيتأخر؟

-ليست للجلسة وقت معين، ولكنه ذهب منذ نصف ساعة، أعتقد أنه سيأتي بعد قليل.

دلفت مروة مترددة وقالت:

-أين سريره؟

أشار لها حسام فجلست عليه، ظلت تمرر يديها على الفراش جوارها تارة وتعبث في أظافرها تارة أخرى بشرود، حتى قال أحمد:

-تحبين الشِّعر؟

استغرب حسام أحمد ؛لأنه تكلم في أمر غير ضروري، بعدما أنهى جملته ظنّت مروة أنه قال شيئًا، فنظرت له وقالت:

-تقول شيئًا؟

فقال أحمد:

-أسألك إن كنتِ تُحبين الشعر.

أومأت برأسها وهي تقول:

-ومن لا يحب الشعر؟!

-أنا اسمي أحمد.

-أهلًا بك، وأنا مروة.

-أعرف ذلك.

ابتسمت مروة، فقال أحمد:

-تقرئين ما أكتبه؟

-يسعدني ذلك.

أخذ كراسته من رف جواره، وقال وهو يعطيها لها:

-قُلت تتسلين في شيء، وعندي كتب وروايات وشعر إن أردتِ.

أخذتها مروة مبتسمة وقالت:

-أشكركَ كثيرًا.

وأخذت تقرأ سطوره وهي تحاول أن تبتلع الغصة التي في حلقها أثر كلماته حتى انسابت دمعة وحيدة ومسحتها سريعًا خُلسة، ربما لأنها تعاني ما يعانيه فوصلها شعوره بشدة، كان يتحدث في أشعاره عن هجر الأحبة، كانت كلماته تجعل من يقرأها يشعر أنه يتحدث عنه هو، برغم أنه لم يجرب أن يكتب شعرًا من قبل، ولكن تجربته القاسية هي من جعلته كذلك، فمن دون الوجع ما كتب أحد.

دلف مصطفى بكرسيه المتحرك، وقف مكانه عندما رأى مروة بظهرها، تذكر أول لقاء لهما حينما رآها من الخلف وهو يدعو مداعبًا ان يجدها تشبه الفنانة التي يحبها، نفض تلك الأفكار من رأسه وقال بغلظة:

-ماذا تفعلين هنا يا مروة؟ ألم أخبرك أن علاقتنا انتهت؟

التفتت له مروة وهي ممسكة بكراسة أحمد، وقالت بثبات:

-ماذا لو لم أقتنع أنها انتهت؟ أنت تضحك على نفسك قبل أن تقول ذلك.

-اذهبي يا مروة؛ أريد أن أنام.

وقفت واتجهت له وقالت:

-واجهني يا مصطفى، قُل لي لماذا أخذت ذلك القرار الغريب؟ لن أتركك من دون سبب منطقي.

صمت مصطفى قليلًا يستجمع شتات أفكاره، وقال:

-السبب المنطقي أنني قررتُ أن لا أتزوج، وذلك القرار لن أعدِل عنه نهائيًا، أتمنى أن توفري حديثك وأن لا تأتيني ثانية. صمت قليلًا وأردف مترددًا بصوتٍ منخفض:

-كلما نسيتك تُذكّريني بكِ وأنا لا أريد ذلك.

عقدت مروة حاجبيها وقالت:

-كلما نسيتك؟! هل أنت مقتنع بذلك حقًا؟

-أجل، وهيا اذهبي أريد أن أنام.

-حتى لو أنت مقتنع بذلك وتركتني حقًا، أنا لن أتركك.

واستطردت بلين:

-تعرف... أنا جئت لأخبرك أن الطبيب يقول أنني سأخرج خلال تلك الأيام، لم أُسَرّ بذلك لأنك ما زلت هُنا، ولكن حتى إن خرجت سآتي إليك أيضًا.

قال مصطفى دون رحمة:

-مروة، قُلت لكِ لا أريدك ولا أريد غيرك، ألم يكن عندك كرامة؟!

تلك الجملة ألجمتها.. أصابت صميم قلبها كخنجر مسنون جعلتها تهتز وهي واقفة، نظرت حولها دامعة وأعطت الكراسة لأحمد دون أن تتكلم، وخرجت من الحجرة وهي تكتم بكاها مُهَرولة إلى حجرتها.

*****

نزل مصطفى بعدما خرجت مروة إلى حيث يقوده المقعد، فقال أحمد فور خروجه:

-إنه غبي جدًا، وسيندم كثيرًا لاحقًا.

الْتفَت له حسام وقال:

-عندما جاءت له أول مرة كنت تنظر لها باشمئزاز، واليوم مُتعاطف معها!

وأردف بسخافة قاصدًا استفزازه؛ ليجعله يتحدث معه:

-ماذا؟ هل أعجبتك؟!

نظر له أحمد حانقًا وقال:

-أول مرة كان يبدو أنه أول لقاء لهما بعد حادثة مصطفى، وطالما لن يفرق معها، وجاءت له ثانية بعدما أوجعها، ولم تتخذها حُجّة للبعد، إذًا هي تحبه رغم كل شيء.

-ربما، وعلى كلّ حال لا أحد يستحق؛ لأن الأنانية غريزة بنا ولكنها بدرجات متفاوتة.

-ليس كل البشر أنانيين.

قال حسام مبتسمًا بسخرية:

-يبدو أنكَ ما زلت لا تعلم الكثير.

*****

-منذ أول أمس وهي كذلك، حتى قال الطبيب أن ذلك سيؤثر على صحتها كثيرًا، وأنه كان من الممكن أن يكتب لها على خروج تلك الأيام، ولكن بسوء حالتها فستظل هنا، كانت تتحدث معي وتأكل وتشرب، ولكن الآن ساءت حالتها أكثر، إما نائمة وإما تبكي، حتى أختيها لم يعلما ما بها، يريدونني في

الحسابات؛ سأذهب أنا وتحدثي معها وأقنعيها أن لا شيء يستحق حزنها، وأن صحتها أولَى من كل ذلك.

قالتها سلوى وهي واقفة عند باب الغرفة لعالية بعدما أشارت على مروة المستلقية على سريرها ووجها للحائط.

أومأت عالية برأسها وهي تقول بحزن:

-حسنًا.

ذهبت سلوى إلى قسم الحسابات بالمصحة، واتجهت عالية إلى مروة، جلست جوارها على طرف السرير، وأيقظتها وهي تطرق بخفة على كتفها وتقول:

-مروة... مروة.

فتحت مروة عينيها فوجدت عالية أمامها، فبكت دون أن تتكلم، فاحضنتها عالية وقالت:

-ما بكِ يا مروة؟ ألن تخبريني مثل أمك وأختيك.

فقالت مروة وسط بكائها:

-مصطفى تركني بالفعل، كنت أظنه يقول أي شيء وأنه لا يستطيع أن يمر عليه يوم واحد دون أن يسمع صوتي أو يراني، ولكنه تحول.. أصبح إنسانًا آخر.

بكت أكثر وهي تقول:

-وأنا لا أستطيع أن يمُر عليَّ يوم واحد مرور الكرام دون أن أسمع صوته أو أراه، إن عِشتُ من دونه ستكون حياتي جحيمًا هكذا يا عالية.

ربتت عالية على ظهرها، وأفلتتها من حضنها وهي تنظر في عينيها وتقول:

-مروة، أنتِ من كنتِ تثبتيني دائمًا، كيف تضعفي هكذا، أنتِ أيضًا تحولتِ، لم أصدق أنك مروة تلك التي كانت لا يهمها شيئًا، ولم تكن ضعيفة أبدًا.

قالت مروة وهي مُطرقة برأسها للأسفل:

-مصطفى عبر حاجزًا في قلبي لم يعبره أحدًا من قبل.. جعلني أندم على كل يوم لم أكن أعرفه فيه.

سقطت دموعها على يد عالية التي كانت تربت عليها وهي تستطرد:

-ثم بعد ذلك تركني.

رفعت عالية كفها، ومسحت عبرات مروة وهي تقول:

-مروة حالتك هذه لا تعجبني.. لابد أن تفهمي أنك سوف تحبين مرة وتُحَبّين مرة وتَجرَحِين مرة وتُجْرَحين مرة، لا تجعلي شيئًا يؤثر فيكِ، كل شيء يحدث لكِ ليس عبثًا، بل ليدفعكِ لشيء آخر حتى تصلِي إلى وجهتك الصحيحة، تلك هي الدنيا، فإذا وقفنا عند كل عائق أمامنا لن نصل إلى وجهتنا أبدًا، ثم أنك فقدتِ أبوكِ من قبل، وأي فقدٍ بعده هيِن.

*****

جلس حسن شاردًا في صيدليته لا يعلم يهاتف رغد أم لا! مر أكثر من شهر على خطبتهما ومازال لا يشعر برغبة في الحديث معها، ولكنه يعلم أنه مقصر جدًا؛ فقرر أن يهاتفها كتأدية واجب ليس أكثر، أخذ هاتفه من فوق المكتب من أمامه وبحث عن رقمها وأجرى اتصالًا، فتحت رغد المكالمة سريعًا وقالت:

-أخيرًا.

ابتسم حسن وقال:

-كيف حالك؟

-بخير، وأنت؟

-بخير.

-مررتُ من أمام صيدليتك اليوم الساعة الرابعة وكانت مغلقة، أين كنت؟

-في هذا الوقت أذهب إلى بيتنا لتناول الغداء وأصلي.. بيتنا قريب من الصيدلية كما تعلمين.

صمت قليلًا وأردف: خيرًا؟ كنتِ تريدين شيئًا؟

-لا، كنت أريد رؤيتك فقط.

قال حسن ساخرًا:

-كيف هذا؟! تريدين رؤيتي ولا تريدين سماع صوتي، لماذا لا تهاتفيني؟

-أقدر ظروفك ولا أريد أن أعطلك عن شيء، أقول سيتصل هو عندما يتفرغ. واستطردت بعتاب: ولكن يبدو أنك لا تتفرغ أبدًا.

تذكر حبيبة وهي تهاتفه بين وقت وآخر، وحينما كان يعترض على ذلك بأنه عليه أشياء كثيرة تجيبه "لن أسمح لك بوقت فراغ أبدًا؛ لأن وقت الفراغ بالتأكيد ستفكر بي، وأنا أيضًا.. فلِمَ نكلف أنفسنا هذا العناء؟ إذن فلنتحدث" فيضحك هو على منطقها.

-حسن.

قالتها رغد، فانتبه حسن وفاق من ذكرياته وقال:

-وجهة نظرك صحيحة.. عقلانية جدًا.

-ربما! معرض الزهور ابتدأ، أحبه كثيرًا، ما رأيكَ أن نذهب سويًا وأُجرِي لك جلسة تصوير. واستطردت مداعبة: جلسة مجانية لا تقلق.

ضحك حسن قائلًا - :طالما أنها مجانية لن أفكر كثيرًا، أنا موافق.

-إذن حدد يومًا في هذا الأسبوع.

-سأرى يومًا مناسبًا وأبلغك.

-حسنًا.

*****

وقت الغروب انطلقت صافرة انتهاء مباراة كرة القدم من أحد أصدقاء شادي وهو يشير بيديه لهم معلنًا عن انتهاء الوقت، حين أطلق الصافرة احتفلت الفرقة الأخرى الفائزة، وجلس شادي ممدًا ساقيه أمامه ومرتكزًا بمرفقيه وراء ظهره على الأرض، وجلس بعض من فرقته الخاسرة على أرضية الملعب داخل النادي يلهثون من فرط الإجهاد، نظر بجواره فوجد سامر صديقه مفترش الأرض بجسده يلهث، فقال شادي:

-سنرتاح قليلًا وآخذك إلى مكان رائع.

قال سامر وهو يلتقط أنفاسه ساخرًا:

-بمناسبة الهزيمة يعني أم ماذا؟

ضحك شادي وقال:

-إنك حزين بالفعل، لا أريد أن أصدمك وأخبرك أننا لسنا أول مرة نُهزم.

-ولا أريد أن أخبرك أنني حزين لهذا السبب؛ لأننا لسنا أول مرة نُهزم.

-إذن ما الجديد في الأمر.

ضحك سامر وقال:

-تصدق لا يوجد جديد، يبدو أنني "over".

-لا تقُل ذلك، هيا قُم نحتفل بهذه الهزيمة لنقهرها.

قالها شادي وهو يربت على ذراع سامر، فقال سامر:

-سنذهب إلى أين وعندنا درس مراجعة بعد نصف ساعة؟!

-أنك قُلت.. مراجعة، يعني شيئًا ليس جديد أيضًا، سأقتنع أنك أوفر هكذا.

قام سامر وجلس متربعًا وهو يقول:

-إذن إلى أين؟!

-إلى شارع المعز، سنأخذ جولة هناك وأشترِي شيئًا.

-شيئًا؟ نترك درسنا وعندنا اختبارات ونذهب هذه المسافة لتشترِي شيئًا؟!

-سوف أشترِي شيئين، مرضي هكذا؟!

أومأ سامر برأسه وهو يقول مداعبًا:

-هكذا معقول.

ضحك شادي ونهض، أعطى لسامر ذراعه ليقوم وقال:

-إذن هيا بنا.

أخذ سامر بيديه ونهض وهو يقول:

-هيا بنا.

ذهبا الاثنان إلى شارع المعز لدين الله الفاطمي، حيث العراقة اللامتناهية، توجد بالقاهرة أزقة وأماكن أثرية كثيرة، ولكن هذا الشارع له رونق خاص لا يعرفه إلا من ذهب إليه.. أخذا جولة في كل شبر فيه، حتى وقف شادي أمام محل سياحي يبيع تحفًا وآثارًا فرعونية مُقلدة، ذلك السبب الذي أتى من أجله، فقال سامر:

-تخيل أنك تمتلكُ محلًا مثل هذا.

هز شادي رأسه نافيًا وقال:

-أنا سأكون وزير الآثار، لم أتخيل هذا من قبل.

قال سامر مداعبًا - :حتى مغرور في أحلامك.

ضحك شادي وقال:

-افهم أيها الأبله، أنا أرفع سقف طموحي دائمًا، حتى إن لم أصل له سأكون وصلت لأدنى منه مرتبة، مثلًا فالأدنى ذلك سيكون عاليًا أيضًا؛ لأن طموحي عالي جدًا، هلّا فهمتني؟

-فهمتك.

قالها سامر وهو ممسك بقطعة أثرية، واستطرد قائلًا:

-جميل جدا هذا التمثال، من هو؟ وما قصته؟

- هذا تمثال الملكة حتشبسوت تنتمي للأسرة الثامنة عشر

قاطعه سامر مستغربًا:

-هذا تمثال امرأة؟!

-وليس امرأة عادية، بل ملكة.

-كيف هذا ولها ذقن؟!

-لم يتقبلها الشعب كحاكمة؛ لأنها امرأة، فقررت أن تلبس ملابس تشبه ملابس الفراعنة الرجال.

أومأ سامر برأسه، فأخذ شادي التمثال من يده ودخل المحل، ودخل سامر خلفه، فقال شادي للبائع:

-توجد قلائد مفتاح الحياة؟

أومأ البائع أنه يوجد وقال:

-بالطبع.

فأعطاه شادي تمثال الملكة حتشبسوت الذي في يده، وقال:

-إذن أريد قلادة وهذا التمثال.

جهزهما البائع له ودفع شادي ثمنهما وأخذهما وغادر هو وسامر المحل، أخرج التمثال بعلبته فور خروجه وأعطاه لسامر قائلًا:

-هذا لك. واستطرد مداعبًا: اشتريت شيئين كما قُلت لك حتى يكون المشوار يستحق أن نترك الدرس من أجله.

أخذ سامر التمثال مبتسمًا، لم يكن بينهما ما يستدعيه لشكره والكلام الذي يكون بين الأغراب وليس صديقين،

فقال وهو غامزًا أحد عينيه:

-والسلسلة لمن؟!

قال شادي بحزن:

-بالتأكيد لريماس، ستسافر بعد اختباراتنا، وهذه لتتذكرني للأبد.

-بعد الاختبارات مباشرة؟! أليست الهجرة تأخذ وقتًا.

-عمها هناك ويحمل بطاقة خضراء، سيذهبون زيارة له ليرتب أبوها ظروف عمله وسكنهم وما إلى ذلك حتى يحصلوا على تأشيرتهم.

*****

مرت أيام أخرى وكان مصطفى جالسًا وحده في ركن من أركان حديقة المصحة المنعزلة يقرأ من المحادثات القديمة التي بينه وبين مروة على مواقع التواصل الاجتماعي.

-لماذا تركتها؟!

قالها حسام وهو ينفث دخان سيجارته بعدما وقف بمقعده المتحرك أمام مصطفى، رفع مصطفي رأسه عن الهاتف ونظر له دون أن يتكلم وعاد بنظره إلى الهاتف ثانية.

فقال حسام:

-إنها تحبك حقًا؛ جاءت لك مرتين ترجوك أن تعود لها، وأنت تردها بمنتهى القسوة وكأنك لم تحبها يومًا.

نظر له مصطفى وقال بضيق:

-أليس أنتَ من قُلت اتركهم قبل أن يتركوك هم.. تقول الآن لماذا تركتها؟ أنت مُصاب بالفصام.

-أقصد تترك من يمثلون عليك الحب لا من يحبوك بصدق، ثم إنك لم تتركها لقولي، لا تمثل عليَّ، أنت خائف أن تتركك هيَ كما حدث مع أحمد.

-لا أريد لها أن تتزوج معاقًا، كما أنني أصبحت لا أحبها.

سقط الهاتف من يده وهو يتكلم؛ فمال حسام يجلبه له، رأى دون أن يقصد رسالة يقولها مصطفى" مروة أنا مستاءً جدًا" فابتسم ساخرًا وأعطاه الهاتف وهو يقول:

-ستظل تُحبها.

قال ذلك ودفع عجلات كُرسيه ليُغادر، بعدما سار قليلًا وقف داس بقدمه المتعافية عُقب سيجارته.

*****

-جميل جدًا هذا المكان.

قالها حسن فور جلوسه بجوار رغد على أحد المقاعد في معرض زهور الربيع بحديقة الأورمان بعد أن التقطت له عدة صور، كانت رائحة الورود تداعب أنفاسهما مع النسيم البارد.

فقالت رغد بمرح:

-جدًا جدًا، أول مرة تأتي إلى هنا؟!

قال حسن ضاحكًا:

-أول مرة أسمع عن هذا المعرض أصلًا.

ضحكت رغد وقالت:

-أنا آتي إلى هنا كل عام، على الأقل مرتين طوال مُدة افتتاحه، بالنسبة لي هذا المكان كنز للتصوير، ابن خالتي أبوه عنده مشتل وعارض هنا في هذا المعرض، هو من عَرفني عليه، أتعلم... ابن خالتي هذا كان يريد خطبتي ولكني رفضت.

-ولماذا رفضتِ؟

-أحبه كـ ابن خالة وليس كزوج.

أومأ برأسه دون أن يتكلم، فقالت رغد:

-يبدو أنك ملَلْتَ، هيا ننتقل من هذا المكان، سأريك أماكن أجمل.

قام حسن وقال:

-هيا.

سار الاثنان إلى الأمام على غير واجهة، حتى وقفت رغد وقالت:

-انتظر... سأصورك هنا.

أشارت بيدها وأكملت:

-قف في تلك الزاوية.

وقف حسن كما قالت ولم يبتسم كعادته في الصور التي أخذتها له، حوّلَت رغد عينيها وأشارت على فمها، وقالت يائسة:

-ابتسم، ابتسم.

ابتسم حسن من طريقة قولها، فالتقطتها له وأكملا سيرهما حتى وقفا عند بحيرة بالحديقة، أشارت رغد عليها وقالت:

-أتعلم... تلك البحيرة الجميلة برغم أنها مُهمَلة، جاء شخص أجرى لها دراسة وقال أنه سيصممها على أحدث مستوى بالعالم من حيث الأشجار والنباتات وكل شيء، ذلك الموضوع كان سيكلف مبالغًا طائلة، ولكنه قال أنه لن يكلف الدولة شيئًا، ولكن رغم ذلك قوبل بالرفض بزعم الحفاظ على التراث والتاريخ.

-ومن أين عرفتِ تلك القصة؟

نظرت له رغد وقالت:

-حسن، لا أشعر أنك سعيدًا، بل أراك شاعرًا بالملل.

تعابير وجهه في الحديث أوحت لها بذلك، فقال حسن:

-هل من المفروض عندما تقولين شيئًا كهذا أن أضحك مثلًا؟ طبيعي أن تري أثر العبوس على وجهي؛ موقف الدولة سلبي جدًا، وحديثك عن البحيرة مُحبط جدًا جدًا يا رغد.

تضايقت رغد من أسلوبه وقالت:

-كنت أريد أن أتحدث في أي شيء لأنك لا تتحدث من الأساس، ولكن حسنًا، هيا نذهب طالما أن حديثي مُحبط.

-رغد، لم أقصد ذلك.

-لم يحدث شيء هيا لنعود.. أمي أمرتني أن لا أتأخر.

*****

خرجت عالية من عملها فوجدت فارس واقفًا كما كان في المرة السابقة بدراجة بخارية

مرتديًا سروال قصير وسترة سوداء ونظارة شمسية، ولكن تلك المرة معه صنارتان ومعلق كيس بذراع الدراجة به أدوات الصيد، لوَّح لها بيده مُبتسمًا، أقبلت عليه عالية مبتسمة وقالت:

-يبدو أنك أخذت على هذا.

قال فارس:

-أردتُ أن أحقق لكِ أحلام المراهقة.. هيا اصعدي.

صعدت عالية تلك المرة دون خجل وقالت:

-إلى أين؟

-إلى مكان لا يعرفه أحد غيري، وبعد أن تعرفيه سيكون لا يعرفه غيرنا.

انطلقا إلى المكان المفضل لدى فارس، وصلا إلى هناك... حيّا فارس عم صابر صاحب المشتل الذي فتح له الباب الحديدي ليدخلا ويكونا أمام النيل مباشرة لا يفصلهما شيء، قال فارس:

-كنت سأجعل عم صابر يأتي لنا بكرسيين، ولكني أحب أن أجلس مُدلي قدمي.

قالت عالية:

-وأنا أحب ذلك أيضًا.

-حسنًا اجلسي، لا تعبئي بالتراب.

جلسا الاثنان، وضع فارس الطُعم في صنارة عالية وأعطاها لها، فوضعت خيطها في الماء فور أخذِها، فقال فارس وهو منشغل بوضع الطُعم في صنارته:

-أول مرة تصطادين أم سبق لكِ من قبل؟

قالت عالية مسرورة:

-أول مرة، ولن تكون آخر مرة. نظرت له وأكملت: أليس كذلك؟

-كذلك.

قالها فارس ورمى خيطه هو الآخر في الماء، وقال:

-سنرى من سيصطاد أكثر.

نظرت له عالية، وقالت:

-سنرى، ولكن كيف أعرف أن صنارتي بها سمكة.

غمز لها فارس وقال:

-عندما تغمز.

قالت عالية مداعبة:

-إضافة كبيرة.

ضحك فارس وقال:

-ستهتز الصنارة في يدك.

-المكان رائع.. جيد جدًا.

-آتي إلى هنا كلما ضاقت عليَّ نفسي.

عقدت عالية حاجبيها وقالت:

-هذا معناه أنك حزين الآن.

نظر لها فارس وقال:

-كيف أكون حزينًا وأنا معك؟!

شعرت عالية بصنارتها تهتز، فقالت صارخة:

-صنارتي بها سمكة ماذا أفعل؟ أقسم أن بها سمكة، ويبدو أنها كبيرة جدًا.

قال فارس:

-هيا أخرجيها من الماء بسرعة.

نزعت عالية خيطها من الماء وجدت سمكة صغيرة جدًا، ضحك فارس بشدة وقال:

-هذه من فعلت بكِ هكذا؟

ضحكت عالية وقالت:

-رأيت؟

-رأيت.. هيا اقذفي السمكة في الماء ثانية.

نظرت له عالية باستغراب، وقالت:

-لماذا؟! إنها سمكتي.

-صغيرة جدًا لن تنفعنا بشيء. واستطرد مداعبًا؛ لكي يثير عاطفتها الأنثوية: ومن المُحتمل أن تكون أمها تبكي وتدعِي عليكِ الآن، والسمك حولها يواسيها ويسُبك بأقذع الألفاظ، هيا اقذفيها.

قذفتها عالية وقالت بدهشة:

-أصحيح هذا؟!

ضحك فارس وقال:

-ولمَ لا.

علمت عالية أنه يسخر منها، فقالت:

-أنت أُوفَر، ألا تعرف ذلك؟

أخرج فارس صنارته بهدوء، وكان بها سمكة كبيرة فقال:

-لا.. أعرف أني صيادٌ ماهر فقط.

-هذا حظ ليس أكثر.. سنرى من سيضحك أخيرًا.

-حسنًا.. حسنًا.

وضع فارس الطُعم في صنارتها وصنارته وأكملا صيد وهما يتضاحكان، بعد خمسة عشر دقيقة قام فارس وقال:

-كفى صيدًا، انتظري سأجلب شيئًا.

قام من مكانه وجلب بعض الحجارة وكوَّمها بجوارها، وجلس وهو يقول:

-أحب قذف الحجارة في الماء أكثر من الصيد.

أخذ حجرًا وقذفه، فأخذت عالية حجرًا وقذفته هي الأخرى، وقالت:

-هذا مُمتع جدًا.

-أي مكان لا يوجد به بشر فهو مُمتع.

-لماذا؟!

أخذ فارس حجرًا قذفه بعيدًا وهو يقول:

-لأنهم يفسدون أي شيء.

أخذت عالية حجرًا قذفته وهي تقول:

-كيف؟

-الجلوس بين البشر يرهقني نفسيًا.

-هل أحببتَ من قبل؟

باغتته عالية بهذا السؤال المغيّر لدفة الحديث بنسبة مائة وثمانون درجة.

ضحك بسخرية وقال:

-أحببتُ مرتين، المرة الأولى فشل بسببي، والثانية بسبب أبيها.

-كيف بسببك وكيف بسبب أبيها؟

-في المرة الأولى لم أكن ناضجًا كفاية وملَلتُ العلاقة، والثانية رآني أبوها غير مناسب؛ لأنه كان يريد أن يزوجها لابن أخيه، ورأت أمها كذلك.

-لهذا تكره الناس وتُحب الجلوس وحدك هنا.

أخذ حجرًا من كوم الحجارة الذي وضعه بينهما قذفه في الماء وهو يقول:

-لا أكرههم، ولكن لا أحب الجلوس بينهم.. هناك فرق.

أخذ حجرًا آخر قذفه بحرفية جعله يقفز مرتين فوق الماء، وقال وهو ينظر لها مغيرًا دفة الحديث قليلًا:

-ما شأني أنا إن فُلان جلب سيارة فارهة، أو أن عِلّانة خُطبت بعدما تخطّت الثلاثين من عمرها، أو أن ذاك خان زوجته، أو أن هذه تكره جميع الرجال أو أو أو... تلك هي أحاديث البشر.

أخذت هي الأخرى حجرًا، وقالت وهي تقذفه:

-ولكن هذا المنطق خطأ، الحياة مشاركة.

نظرت له واستطردت:

-لمَ حجري لا يقفز فوق الماء مثلك.

أعطاها حجرًا ومسك يدها وهو يقول شارحًا لها:

-تخِفين يدك هكذا. واستطرد مكملًا حديثهما: بالتأكيد مشاركة؛ فهذه السترة التي أرتديها صنعها شخص ما وارتديتها أنا، ما تتكلمين فيه هذا منطق آخر.

قذفت الحجر كما قال لها، فغاص في الماء دون أن يقفز.

فأخذ حجرًا آخر، نظرت له وهو يقذفه ويقول:

-أنتِ تعلمين انني أحب شيئَين؛ العزلة وأنتِ، وأكره شيئين؛ الجلوس بين الناس والروتين.

أخذَت الحجر الأخير قذفته وهي تقول:

-وأنا أكره شيء واحد فقط، هو غيابك.

ثم رفعت حاجبيها دهشة، وقالت مسرورة:

-رأيت الحجر وهو يقفز؟! لقد تعلمتها.

فقال مبتسمًا:

-لم أره، كنت ناظرًا لكِ.

*****

أنهى شادي اختباره وراجعه وخرج من اللجنة بعد الوقت المسموح، بعدما خرج قال لسامر صديقه الذي مازال في الداخل بلغة الإشارة أنه سيتجه إلى لجنة ريماس ويذهبا سوياً وسيقابله ليلاً، أومأ سامر له، فاتجه شادي إلى لجنة ريماس، رأته ريماس فابتسمت وقامت سلّمت ورقتها وخرجت له، قال شادي:

-أجبتِ عن كل الأسئلة؟

-نعم، كان الاختبار سهلًا، إن شاء الله سنحصُل أنا وأنت على الدرجة النهائية في هذه المادة.

قال شادي وهو يسير جوارها:

-إن شاء الله.

-بما أنه بعد غد آخر اختبار، هل سعيد لذلك أم حزين؛ لأني بعدها بأيام سأسافر؟

أشارت له بسبابتها وأكملت: لا تكذب.

نظر لها شادي وقال:

-أتمنى لو كانت أيامي كلها اختبارات وتظلين أنتِ هنا ولا تسافرين.

نظرت له ريماس وقالت مداعبة:

-أووه، إجابة نموذجية.

ضحك شادي وقال:

-أعجبتكِ؟

-جداً، لأن بالنسبة لي أسوأ شيء على الإطلاق هو الاختبارات، كونكَ تُحب أيامك كلها اختبارات لأكون أنا معك فهذه تضحية كبيرة.

-وأنتِ سعيدة لأنك ستنتقلين إلى بلد كثير من الناس يتمنوا أن يذهبوا إليها، أم حزينة لأننا لن نلتق؟

-بالطبع حزينة.

كانا قد خرجا من باب المدرسة، فقال شادي:

-تتذكرين عندما قُلتِ لي يوماً "أتمنى أن أذهب إلى أمريكا يوماً ما ، عمي يقول أنها بلد رائعة"؟

أومأت ريماس برأسها وقالت:

-نعم أتذكر.

-إذن لا تحزني، إنك قريباً ستحققين رغبتك، لا تفسدي عليكِ ذلك ولا تقلقي من شأننا، الإنترنت جعل العالم قرية صغيرة كما يقولون.

-عِدني أنك لن تنساني.

-أعدك.

قال ذلك وخلع حقيبته، أخرج منها القلادة مفتاح الحياة وأعطاها لها، وقال:

-هذا مفتاح الحياة رمز الحياة الأبدية عند الفراعنة، وبالنسبة لي رمز حُبنا الأبدي، كلما تريه تذكريني.

أخذتها ريماس وقالت بدهشة:

-هذا غير معقول، تلك ذات فكرتي.

نظر لها شادي مندهشاً وقال:

-ماذا تقصدين؟

-بحثتُ على الإنترنت عن شيءٍ يرمز للدوام والاستمرارية عند الفراعنة لكي أجلبه لك ويكون رمز استمرار حُبنا، ولكني لم أجد مفتاح الحياة، وجدتُ أن الجعران تلك الحشرة المقززة هي ذلك الرمز عندهم، وبالطبع لا أعلم أماكن بيع تلك الأشياء فرسمتها لك ودونت تحتها حكمة شائعة" راحة البال خير من الغضب"، كان الفراعنة ينقشونها وحِكَم وأمنيات أخرى على الأختام التي على شكل جعران.

قالت ذلك وخلعت حقيبتها وأخرجت الرسمة كما لفّتها وعطّرتها، وأكملت:

-كنت أقول أني سأعطيك تلك الهدية آخر يوم في الاختبارات، ولكن طالما أعطيتني هديتك فخُذ هذه. وأكملت مداعبة: حتى لا تظُن أنني قلدتُ فكرتك.

أخذها شادي مبتسماً، وقال متسائلاً:

-ريماس، ألم يخبرك أحد من قبل أنك أجمل ما في هذا العالم؟!

-لم يخبرنِ أحد، ولكني أعرف ذلك.

قالتها ريماس وأخرجت لسانها مداعبة وهي تنظر له، ضحك شادي وقال:

-حسناً... حسناً.

قالت ريماس بجدية:

-شادي لا تنساني، تذكرني دائماً.

ضحك شادي متصنعاً المرح، وقال وهو يعتصره الألم:

-ريماس، سنتواصل على الفيس بوك، لا تُشعريني أنك مسافرة إلى كوكب زمُردة.

*****

"الحياة أقصر من أن أخفي مشاعري تجاه شخص حتى ولو بالبغض، سأخبره... فليذهب إلى الجحيم، وأنا ما زِلت أحب مصطفى... إذن سأخبره ولتسقط شِعارات الكرامة وعزة النفس"

قالتها مروة محدثة نفسها، نهضت من على سريرها وكررت بصوت مرتفع:

-سأخبره.

اتجهت مروة إلى غرفة مصطفى وهي تدفع نفسها بكلمات تحمسها لذلك القرار"هيا يا مروة لا تخافي، لا تسمحي لحُبك أن يضيع، ما زال يحبك بالتأكيد ولكنه اتخذ قرارًا خاطئًا"، ظلت تلك الكلمات تتردد في عقلها حتى وقفت أمام باب غرفته تستجمع قواها وهمَّت أن تطرق الباب، ولكن مرّت ممرضة من جوارها وقالت بصوت منخفض:

-لا تطرقي الباب؛ الطبيب معهم الآن بالداخل يُجري لهم جلسة جماعية.

أومأت مروة برأسها وقالت:

-حسناً.

غادرت الممرضة ووقفت مروة خلف الباب تنتظر خروج الطبيب، فسمعت حسام يقول:

-حقيقة كل شيء تزعجني، أرى كل شيء زائفًا ومقززًا ..حتى أنت تقول أنك هنا لمساعدتي، ولكنك لستَ هنا لمساعدتي، أنت هنا لأخذ المال، تقدم نصائح روتينية وتكتب عقاقير ربما تساهم في الشفاء وربما لا مقابل مال المريض،.لا أحد يفعل شيئًا دون مقابل.

حك الطبيب ذقنه وقال:

-اممم.

صمت قليلاً وأردف:

-أنت تُعاني من الفهم المُفرط لحقيقة الأمور، وذلك سيُفسِد عليكَ حياتك.

-وماذا يجب أن أفعل؟

-لا تنظر للأشياء بعمق، ادعي الجهل قليلاً وصَدق سطحية الأمور.

فقال أحمد موجهاً حديثه لحسام:

-استمتِع بالمثالية الزائفة ومثِّل أنك تُصدّق، لن تخسر شيئًا، واعلم أن من يتشدق بشيء يفتقده.

فرح الطبيب بمشاركة أحمد وقال:

-كيف من يتشدق بشيء يفتقده؟!

اعتدل أحمد في جلسته وهو يقول:

-قال كافكا في رسائله إلى ميلينا "أنا قذر يا ميلينا، قذر بلا حدود، ولهذا أصرخُ كثيراً بشأن الطهارة" هذا مفهوم ادعاء المثالية بنظري.

ابتسم الطبيب، وقال موجهاً حديثه لحسام ومصطفى:

-أتعرفان كافكا وميلينا؟

أومأ الاثنين برأسهم أن لا.

فقال الطبيب مداعباً:

-برغم أننا لا نعرف كافكا ولا ميلينا ولكن كلامه جميل. وأكمل في محاولة يائسة منه لجعلهم يبتسمون:

-ولكن بالتأكيد ميلينا أجمل.

لم يستجب أحد له، فتنحنح الطبيب في حرج وقال موجهاً حديثه لمصطفى:

-وأنتَ يا مصطفى ما أكثر ما يزعجك في مواجهة الناس؟

أصغَت مروة بتركيز عندما سمعت اسم مصطفى الذي قال:

-نظرات الشفقة، لا أحبها... لا أحب أن يشفِق عليَّ أحد.

مرت ممرضة أخرى فوجدت مروة واقفة تسترق السمع، فقالت:

-ماذا تفعلين؟!

انتفضت مروة وقالت:

-لا، لا أفعل شيئًا، منتظرة خروج الطبيب.

-أنك تتلصصين.

-لا أتلصص.

-إذن لا تقفي خلف الباب هكذا.

رأى الاثنان مزلاج الباب يُفتح وخرج الطبيب وقال:

-ماذا يحدث؟

قالت الممرضة:

-وجدتها كانت تتلصص عليكم.

قالت مروة بانفعال:

-قُلت لكِ لم أكن أتلصص، لماذا أنتِ مصرّة على ذلك؟

فقال الطبيب:

-إذن ماذا كنتِ تريدين؟

نظرت مروة داخل الغرفة وهي مرتبكة، وجدت مصطفى وحسام وأحمد يتابعون ما يحدث، فأشارت على أحمد وقالت:

-أحمد صديق لي، وكنت آتية لآخُذَ منه رواية.

ابتسم أحمد، وقال ليخرجها من هذا المأزق:

-انتهيتُ من رواية المسخ وجهزتُها لكِ.

فقال الطبيب:

-حسناً، ادخلي اجلسي معه إذا أردتِ.

دخلت مروة وغادر الطبيب، جلست على سرير أحمد، فجاء بالمقعد المتحرك بجوارها وجلب لها الرواية، وقال:

-ستعجبكِ كثيرًا، عندما تنهيها سنتناقش فيها، حسناً؟

قالت مروة:

-حسناً، ولكن إذا لم تعجبنِ من بدايتها لن أكملها.

قال أحمد:

-لا، أنا متأكد أنكِ ستقرئينها كلها... ستجذبك، بدايتها صادمة جداً.

ضحكت مروة وقالت:

-أثق برأيك، ولكن أعطني شيئاً من أشعارك معها علّها لا تجذبني فأكون انتفعت بشيءٍ آخر.

تضايق مصطفى من أسلوبها المرح قليلاً معه، فقال:

-لم أكن أعرف أنك تقرئين الشِعر.

نظرت مروة له فوجدت في عينيه الغيرة فسُرت لذلك، وقررت أن تلعب على هذا الوتر عنده؛ فقالت:

-عندما قرأتُ شِعر أحمد أحببته.

عادت بنظرها لأحمد وقالت:

-أعطيهم أشعارك يقرؤونها... لا تحرمهم من هذه المتعة، حقاً أنت موهوب، ألم تفكر بنشر ديوان؟

-لا، أنا أكتب أشياء أشعر بها ليس للمتاجرة، ولا أريد لأحد أن يطّلع عليها من الأساس.

صمت قليلاً وأردف:

-لا أحد غيرك رآها لعلمك، ولا أعلم لماذا جعلتكِ تطلعين عليها.

اندهش حسام من ما يجرى أمامه، بينما تضايق مصطفى كثيراً وقال:

-أحمد خذ ضيفتك واخرج، هذه الغرفة لك شريكين بها لا يصح أن يكون لك زائرين، نحن لا نريد ذلك، إذا أردت أن تستضيف أحدًا فاخرج معه.

قالت مروة:

-حسناً، سأقرأ الرواية والشعر وأتناقش معك فيهما أسفل بالحديقة، اتفقنا؟

قال أحمد مبتسماً:

-اتفقنا.

تضايق مصطفى كثيرًا؛ هكذا بغبائه سيكونا معًا بالخارج ولا يعرف ماذا يقولون، فقالت مروة موجهة حديثها لأحمد:

-هيا وداعاً، نلتقي غداً وقت العصرية في الحديقة.

-سأنتظرك.

*****

جلست رغد على سريرها تقلّب في الصور التي التقطتها في الحديقة التي من بينهم صور حسن وهي ساهمة الوجه، كل شيء يبين لها أن حسن لا يحبها، تشعر المرأة بمن يحبها حتى وإن لم يقُل لها كلمة أحبك، مر وقت كافٍ على خطبتهما ولا ترى في عينيه أي شيء يقول أنه يحبها، ولا أي شيء في تصرفاته، لا تعلم لماذا خطبها إذن.

هذا هو الذي رفضتُ كثيراً قبله كانوا يتمنون لو أنها تنظر لهم نظرة رضا، بعضهم كانوا يحبونها والبعض الآخر "صالونات"، ولكن في النهاية كانت ترفض النوعين؛ لأنها تريد شخصية معينة، وهذه الشخصية وجدتها في حسن عندما رأته، ابتسمت ابتسامة جانبية ساخرة وهي تفكر بذلك، استفزتها الفكرة؛ فاتخذت قرارًا يراودها منذ أيام، كتبت رقم حسن على الهاتف وأجرت اتصال.

فتح حسن المكالمة وقال:

-مرحبًا يا رغد.

-كيف حالك؟

-بخير، ولكن بيدي عمل الآن سأنهيه وأهاتفك، حسناً؟

ابتسمت رغد بسخرية وقالت:

-لا تخَف؛ لن أعطّلك، سأقول لك شيئًا وأغلق.

ازدردت ريقها وقالت:

-أنا قررت أن ننهي علاقتنا.

صمتت قليلاً وقالت:

-نحن غير متفقَين، هكذا ستقول لأبي عن سبب انفصالنا.

قال حسن باستغراب:

-تمزحين... أليس كذلك؟

-لا، لا أمزح، هيا انتبه لعملك لن أعطلك أكثر من ذلك، وداعاً.

قالت ذلك وأغلقت الخط، عقد حسن حاجبيه في تعجب ونظر للهاتف، عاود الاتصال بها ولكنها ألغت المكالمة؛ فهاتف فارس الذي فتح المكالمة وقال:

-مرحبًا.

قال حسن بصوت متغير:

-مرحبًا يا فارس، أنت في شقتك اليوم أم لا؟

-نعم في شقتي، ماذا بك؟!

-سآتي لك التاسعة مساءً.

-حسناً في انتظارك.

*****

بعدما أغلقت رغد المكالمة نظرت في المرآة، ساوت خصلات شعرها وابتسمت ابتسامة انتصار،

كانت تتمنى لو أن العلاقة تستمر بتبادل الحب بينهما، ولكن لم يحدث ذلك فلم تتأثر كثيراً، وأنهت العلاقة دون وخزة ضمير.

*****

-هذا القرار اتخذتُه هكذا دون أي شيء؟!

قالها فارس محدثاً حسن الذي يقف بجواره في شرفة شقته، فقال حسن:

-يبدو أنها ظنت أنني لا أحبها.

-ظنت أم أن هذه الحقيقة؟

زفر حسن مهموماً وهو يقول:

-لا أعرف، ولكن كل شيء تقوله لي أقارنه بقول حبيبة.

-إذن شعورها صحيح.

-هي لطيفة، أنا لا أبغضها، ولكن لا أحبها.

ارتشف فارس رشفة من كوب الشاي الذي بيده، وقال:

-ولكنك كنت سعيدًا عندما وافقت عليك.

-والآن لست سعيدًا أيضاً لقرار الانفصال.

-أنت لا تعرف ماذا تريد.

نظر له حسن وقال:

-وماذا أفعل؟

-لا أعرف، حاول أن تُعطي قلبك فرصة يحب رغد كما يجب أن تُحَب.

رنّ هاتف حسن، أخرجه فوجد المتصل أسامة والد رغد، فقال:

-إنه عمي أسامة.

قال ذلك وفتح المكالمة، فقال أسامة:

-كيف حالك يا حسن؟

-بخير الحمد لله.

-لا أحب المقدمات، رغد قالت لي أنكما فسختما الخطبة، وقالت لي أن لا أناقشك؛ لذلك تعال غداً لتأخذ شبكتك.

-ولكن أنا لا أريد ذلك، كنت سأتكلم معك.

قاطعه أسامة وقال:

-صدقني، أنا أيضاً كنت لا أريد ذلك، ولكن لا تضيّع وقتك يا حسن، رغد مصرّة وأنا أعرف ابنتي عندما تصمم على شيء.

ابتلع حسن ريقه وقال:

-حسناً.

-وداعاً.

-وداعاً.

أغلق حسن فقال فارس:

-ماذا قال؟

-قال أن أذهب له غداً لأخذ شبكتي، قُلت لأمي لا أريد أن أخطب الآن ولكنها أصرّت، وهذا نتيجة تعجُلها.

*****

جلست مروة في حديقة المصحة في الموعد الذي قالته لأحمد وهي ممسكة بالرواية وكراسة أشعاره تنتظره.

عندما ذهبت لمصطفى أمس كانت متخذة قرار غيّرته الأحداث وحدها فلتتبعها وترى ماذا سيحدث، دقائق وجاءت ممرضة تزق أحمد؛ لأنه لا يستطع قيادة المقعد مسافة كبيرة بيدٍ واحدة، قطعت أفكارها وابتسمت، جاء أحمد مبتسماً بدوره وقال للممرضة:

-أشكرك يا دنيا.

قالت دنيا بمرح:

-قُلت لك كثيراً لا داعي للشكر، لا تكررها ثانيةً وإلا....

قاطعها أحمد مداعباً:

-من دون وإلا، حسناً لن أشكرك ثانية.

تحسنت حالة أحمد في الآونة الأخيرة كثيراً؛ فقد كان لا يتحدث لغير الضرورة.

ضحكت دنيا وقالت:

-حسناً، متى آتي لأعاودك؟

-مروة ستعاودني.

-حسناً.

قالتها دنيا وغادرت.

فقال أحمد فور مغادرتها:

-قرأتهما؟!

-أجل ، الرواية قصيرة وبها تشويق، اتضح أنك محق... الرواية جذبتني؛ بدايتها صادمة جداً، وكان لابد أن أرى جريجور ،هل سيعود إنسانًا ثانية أم سيظل حشرة؟

-لذلك أعشق كافكا؛ لأنه يُجبرِك على القراءة له برغبتك.

-ولكنني كنت أريد أن يعود جريجور إنساناً ثانية ، وموقف أخته الذي تحول وأصبح غير إنساني ضايقني كثيرًا، وكنت لا أريد لجريجور أن يموت.

-ولكن البقاء على هذه الصورة غير مُحتمل، الانتحار هو الحل الأمثل.

صمت قليلاً وقال:

-أتعلمين... أنا أحب هذه الرواية جداً؛ لأني أشبّه نفسي بجريجور بعد حادثتي والتحول الذي حدث لي، أشعر وكأني أصبحتُ مَسخًا.

*****

ضحك حسام وقال محدثاً مصطفى:

-ماذا بك تذهب وتُجيء؟! تبدو عليك الغيرة جداً.

التفت له مصطفى وقال:

-ماذا تريد يا حسام؟ توقف عن كونك سخيفًا قليلاً واتركني وشأني.

-إنك توترني بتوترك هذا، بدلاً من أن تكون كذلك انزل عندهما بالأسفل واسمع ماذا يقولان، واتركني أنت وشأني.

زفر مصطفى بضيق وغادر الحجرة وتركه، نزل إلى الحديقة.. جالها ببصره حتى رأى مروة وأحمد مندمجان بالحديث كأنهما أخلاء مُنذ زمنٍ بعيد، رآه أحمد فقال لمروة:

-إنه هناك يراقبنا، هيَّا نغير الحديث ونثير غيرته، أستمتع بذلك جداً.

ضحكت مروة وقالت:

-هيَّا.

-فلنتركنا من جريجور وعائلته الوقحة.

-فلنتركنا.

ضحك أحمد وقال:

-سأجعله يأتي يُعلن خطبته عليكِ من جديد، ولكن أي شيء أقوله لكِ تضحكين بصوت مرتفع، حسناً؟

هذا الحديث جعل مروة تضحك بصوتٍ مرتفع غير مُتصَنِعة، فقال أحمد:

-ضِحكتُكِ جميلة لعلمك.

نظرت مروة له مرتبكة، لا تعلم هل يتكلم جد أم لا، فقال أحمد:

-هيَّا اضحكِي كما قُلت لكِ.

ضحكت مروة كما قال، كان مصطفى يتابع كل ذلك؛ فاتجه إليهما وجلس بالقرب منهما ليوقف تلك المهزلة من وجهة نظره، فصمت الاثنان، بعد قليل قال أحمد:

-بدأت أشعر بالملل، هيَّا نصعد.

قامت مروة تدفعه بالكرسي وتركا مصطفى الذي ظل ينظر لهما حتى دلف الاثنان المبنى.

*****

ظل مصطفى موضعه ناظراً للمبنى الذي دلفاه بشرود يعتريه الضيق حتى انسابت عبراته بهدوء، أراح رأسه على ظهر المِقعد وهو ينظر لأعلى وعبراته كما هي تنساب بلا توقف، وكأنه لا يشعر بها حتى تذوّق ملوحتها فمسحها بأطراف أنامله، وحرك مقعده وصعد.

دخل غرفته فوجد أحمد يقرأ الرواية التي كان قد أعطاها لمروة، ولم يجد مروة عكس المتوقع، فاتجه لأحمد وقال:

-ألم يكن عندك مروءة؟! ألا تعلم أن مروة كانت خطيبتي؟!

نظر له أحمد، وأومأ برأسه وهو يقول:

-أعلم، ألا تعلم أنت أن كلمة "كانت" تعني شيئًا حدث وانتهى؟

-ماذا تريد منها؟

قوس أحمد شفتيه للأسفل وقال:

-لا أريد شيئًا، نحن أخلاء فقط.

-ولكني لا أريد ذلك.

-بصفتك ماذا؟

ربت مصطفى على كتفه، وقال بهدوء:

-ليس من شأنك، لا تتحدث مع مروة مرة أخرى.

-سأتحدث وقتما أشاء، لا دخل لك.

ارتفع صوت مصطفى وقال:

-أحمد، لا تضطرني أن أتصرف معك تصرفًا آخر.

-مروة ليست أختك ولا خطيبتك ولا زوجتك حتى تقول ذلك.

-كفى.

نطق بها حسام منهياً النزاع، صمت أحمد ومصطفى ونظرا له، فاستطرد حسام:

-نحن هنا معاً لأننا متشابهون، تعرفا ماذا يعني ذلك؟ صمت قليلاً وقال: أن نكون دعمًا وسندًا لبعضنا البعض، وليس لنتنازع، نحن هنا لنتأهل نفسياً للمعاملة مع المجتمع، وما دُمنا مع بعضنا كذلك، كيف سنكون مع من لا يشبهونا؟!

لاذ الثلاثة بالصمت؛ فتابع حسام:

-معذرة، يبدو أنني نسيت أنكما ليسا خارج نطاق البشر، أنتما أغبياء مثلهم وعقولكم مليئة بالسموم والغباء.. شخص ترك خطيبته ولكن غريزة التملك مُسيطِرة عليه ولا يريدها له ولا لغيره، وآخر لا يعلم ماذا يفعل، منساق وراء قلبه كالأبله.

قال ذلك بهدوء واستل سيجارة من علبته وأشعلها، وحرك مقعده متجهًا نحو الباب لينزل إلى الحديقة.

*****

مرت أيام ووقف شادي في شرفته يودّع ريماس وهي ترحل.

وضع هشام الحقائب فوق سيارة الأجرة واستقل جوار السائق، واستقلت رانيا في الخلف وبقيت ريماس.

نظرت لأعلى قبل أن تستقل السيارة؛ فابتسم شادي وثنى الاثنين أصابعهما معاً كالمنظار ونظرا لبعضهما البعض منه، أومأ لها شادي برأسه أنه يفهمها، لا أحد غيرهما يفهم هذه الإشارة،

استقلت ريماس بجوار أمها وأدار السائق مُحرك السيارة وغادر، بينما ظلت ريماس تنظر إلى شادي من خلف الزجاج وهو ينظر لها حتى ابتعدا عن الرؤية، فشبك شادي يديه ووضعهما خلف رأسه ونظر للسماء وهو يزفر

مهموماً؛ فستغيب عنه شمسه وقمره وعالمه أجمع، كان في حضرتها ينسى أصدقائه وهواياته وكل شيء، فقط يشعر بوجوده وهو يرى نفسه في عينيها، ويشعر بقيمته عندما تعبّر له عن حبها بطريقة غير مباشرة، وكان يفخر بنفسه عندما يخبرها معلومة لم تكُن تعرفها من قبل وتنبهر بها في المجال الذي شغفه حباً.

لا يعبأ بالمسافات، سيظل يُحبها حتى وإن كانت في كوكب آخر.. همه الوحيد أنه لا يراها مثلما كان ويسعد قلبه برؤيتها؛ فالمسافات لا تُقلّص الحب، الحب الذي تقلصه المسافات لم يكن حُباً من البداية.

*****

-مبارك الكاميرا.

قالها حسن بعد أن وقف أمام عدسة رغد وهي تلتقط صورة من فوق سطح عقارها بكاميرتها الجديدة التي طالما تمنتها.

عندما رأته رغد في الصورة فتحت عينها الأخرى وعقدت حاجبيها بعدما أبعدت الكاميرا من أمام عينيها، وقالت باستغراب:

-ما الذي أتى بك إلى هنا؟!

-أريد أن أتحدث معكِ.. والدتك هي من أخبرتني أنكِ هنا تجربين الكاميرا.

-تتحدث معي بصفتك ماذا؟

-بصفتي سأكون خطيبك ثانية.

ضحكت رغد بسخرية وقالت:

-لن يحدث ذلك ثانياً.

-أعترف أنني كنت مقصرًا معكِ، ولكني أحببتكِ يا رغد... أحببتك جداً.

ابتسمت رغد ابتسامة جانبية، وقالت:

-تأخرتَ كثيراً يا حسن، أحببتني بعدما توقفتُ أنا عن حُبك.

-أحبيني من أول وجديد وسترين إنساناً آخر.

هزت رغد رأسها يميناً ويسارًا، وقالت:

-ألم أقل لك أنك تأخرت، زميل لي يتابع أخباري وعلم بفسخ خطبتي وأفصح لي عن حبه، وطلب يدي وأعطيتُه موافقة أولية، وسيُحدّث والدي في نهاية الأسبوع.

أومأ حسن برأسه منكسراً وقال:

-مبارك .. مبارك.

*****

أخذت عالية آخر أغراض مروة من خزانة الملابس بالمصحة وضعتها في الحقيبة، وقالت مبتسمة:

-وضعتُ كل شيء في الحقيبة ، أينقصُكِ شيء هنا أو هنا؟

فاليوم ستخرج مروة من المصحة بعدما تعافت نهائياً.

قالت مروة وهي جالسة على حرف سريرها ترتدي حذائها:

-ينقصني كل شيء في المبنى المُقابل.

وضعت عالية يديها في خصرها، وقالت:

-ألم نغلق هذا الموضوع الأسبوع الماضي؟

وقفت مروة بعدما ارتدت حذاءها، وقالت:

-أجل أغلقناه، ولكن قلبي مازال لم يقتنع بذلك.

قالتها واتجهت ناحية الباب، وأكملت:

-سأذهب أجعله يقتنع أن مصطفى لم يعد مصطفى، وأنه لم يفقد في الحادثة سوى قلبه، وسأودع أحمد وآتي.

أوقفتها عالية قائلة:

-انتظري، أمكِ ذهبت لتُوقِف لنا سيارة أجرة.

-لن أتأخر، هذه آخر محاولة.

قالتها مروة وأكملت سيرها.

*****

ذهبت مروة إلى المبنى الآخر، وعندما اقتربت من باب الغرفة وجدته مفتوحًا، فوقفت.. ابتلعت ريقها وأكملت سيرها في ثبات.

وقفت أمام الباب مباشرة، لم تجد سوى حسام يعبث بهاتفه، فطرقت الباب حتى رفع نظره عن الهاتف ونظر لها، قالت مروة برتابة:

-كيف حالك؟

-بخير، تريدين أحمد أم مصطفى؟

وقفت مترددة بعض الشيء، فقال حسام:

-يبدو أنه سؤال صعب، أحمد في المبنى المقابل؛ فقد نجى من محاولة انتحار فاشلة.

وضعت مروة يدها على فمها مصدومة تستنكر ما سمعته، فأكمل حسام:

-ومصطفى بالأسفل.

أومأت مروة برأسها وأشارت على كراسة وقلم موضوعين فوق الكومودينو الخاص بحسام، وقالت:

-أيمكنك أن تعطيني ورقة وقلمًا؟

أومأ حسام وقال:

-بالطبع، لا أحتاجهم بشيء من الأساس.

اتجه إلى الكراسة أخذها وأخذ القلم وأعطاهما لها.

أخذتهم مروة وجلست لتكتب شيئًا، أنهت ما تكتبه ونزعت الصفحة من الكراسة وأطبقتها، وقالت:

-آخر يوم لي اليوم هنا في المصحة، تعافيتُ تماماً الحمد لله، العقبى لك.

أومأ حسام مبتسماً وقال:

-مبارك.

ابتسمت مروة، وأعطته الورقة قائلة:

-أعطي هذه لمصطفى.. أمانة لا تنسى أن تعطيها له.

أخذها حسام وقال:

-حسناً، أي خدمة أخرى؟

-لا، أشكرك كثيراً.

قالت ذلك وغادرت في صمت ، اتجهت إلى المبنى الآخر تسأل عن غرفة أحمد، لا تعلم لماذا أخذتها قدماها إلى عنده.

استعلمت عن الغرفة واتجهت لها ،طرقت الباب فتحت لها شقيقة أحمد، استنتجت مروة أنها شقيقته فهي تشبهه كثيرًا، ووجدت أحمد مستلقيًا على السرير نائم ورسغه ملفوف بالشاش والقطن، يبدو أنه حاول قطع شرايينه بأسنانه، لامت مروة نفسها أنها لم تفهمه عندما قال لها أن الانتحار هو الحل الأمثل لجريجور، ثم بعد ذلك شبّه نفسه به.

فقالت:

-أنا مروة صديقة أحمد.

قالت شقيقته مبتسمة:

-تفضلي.

دخلت مروة وقفت مقابلة له تنظر في ملامحه المنكسرة، وضعت يدها على جبينه ربما تتأكد أنه مازال حياً؛ ففتح أحمد عينيه وأغمضها ثانية، ابتسمت مروة وقالت لشقيقته:

-حمداً لله على سلامته.

-سلمكِ الله.

-آخر يومٍ لي اليوم هنا، ولكني سوف آتي فيما بعد لزيارة أحمد.

قالت شقيقته مبتسمة:

-تشرفين في أي وقت.

*****

فور دخول مصطفى من الباب بكرسيه المتحرك قال له حسام:

-فاتك نصف عمرك، مروة جاءت تسأل عنك قبل قليل ولم تجدك.

التفت له مصطفى؛ فأكمل حسام:

-كان آخر يوم لها هنا، فتركت لك تلك الورقة.

قال ذلك وهو يعطيها له، أخذها مصطفى دون أن ينطق، فتحها ووجد محتواها "ستتذكرني يوماً ما في موقف عابر فتبتسم، ستشعر وقتها أنك تشتاق لي كثيراً، بل ستتفاجأ أنك ما زلتَ تُحبني، سيعتريك حبٌ جارف وتلعن غباءك ألف مرة، وتتساءل أما زلت تُحبني؟! تأكد وقتها أن قسوتك قتلَت كل شيء بداخلي، وأني توقفتُ عن حبك، وحينها ستندم كثيراً"

غادر مصطفى الحجرة سريعاً واتجه إلى الأسانسير، نزل إلى الدور الأرضي واتجه إلى المبنى المقابل، وقف متردداً لا يعرف ماذا يفعل، هل غادرت بالفعل أم يدخل يسأل عنها؟ أم يظل مكانه ينتظرها؟

قطعت مروة حيرته عندما رآها تخرج هي وعالية وأمها من باب المبنى، وفي طريقهم للخروج من باب المصحة ؛فابتسم ودق قلبه سريعاً، وقال بصوتٍ مرتفع:

-مروة.

توقفت مروة؛ إنه صوت مصطفى، هكذا حدثتها نفسها، نظرت خلفها وجدته، فابتلع ريقه وقال:

-لن أندم فيما بعد. صمتَ قليلاً وأردف: أنا ندمتُ من الآن.

ابتسمت مروة وهي تزفر بسعادة وركضت إليه.

*****

ارتطم الحجر في المياه؛ قطع تلاحمها وحطم خيوط أشعة الشمس المائلة للحمرة قليلاً وهي تغرب؛ فتناثرت بعض القطرات البلورية لأعلى وتواصل خلفها قذف الحجارة من فارس وعالية، لم يسمعا صوت الارتطام من صوت فيروز المنبعث من سماعات عم صابر وهي تغني "أعطِني الناي وغنّي" مرّ أمامهما قارب صغير به صياد يرمي شباكه وزوجته معه تقود القارب، نظرت لهما زوجة الصياد مبتسمة؛ فابتسمت لها عالية ولوَحت لها بيدها، لوَحت لها هي الأخرى.

-حياتهما جميلة، أليس كذلك؟

قالها فارس بعد أن ابتعد القارب وهما لا يزالان ينظران إليه، ابتسمت عالية وقالت:

-جميلة جداً، يكفي أنهما معاً.

-بالضبط، كما أنهما لا يحملان هَمّ الغد؛ يصطادان السمك ويبيعانه، وبذلك يملكان قوت يومهما، غير أن مهنتهما ممتعة، ماذا يريدان أكثر من ذلك؟

نظرت له عالية، وقالت مداعبة:

-يبدو أننا نحسدهما.

ضحك فارس، وقال وهو يقذف حجرًا بالمياه:

-ولمّ نحسدهما وستكون هذه مهنتنا وحياتنا في شهر العسل بعد الزواج؟!

ضحكت عالية وقالت:

-تتكلم جد؟

أومأ فارس برأسه وقال:

-أجل، ما رأيك؟

-رائع جداً.

واستطردت عالية ضاحكة:

-كم يحبني الله؛ فقد كنت أحلُم بمن يأخذني في رحلة صيد، فجاء من سيجعلني صيادة، لم تصل مُخيّلتي لهذا قط.

زوت ما بين حاجبيها وهي تقول:

- ولكن أعجبتْكَ الفكرة سريعاً هكذا بعدما رأيت الصياد وزوجته.

ضحك فارس وقال:

-ليس كذلك.. كلما كنت آتي إلى هنا وأرى صيادين وزوجاتهم معهم كنت أقول عندما أتزوج سأجرب هذه المهنة، ربما شهر مثلاً.. أعرف صيادًا أحياناً يمر من هنا يلقي عليّ التحية، رجل طيب اسمه عم إمام، وزوجته طيبة مثله،

ركبت معهما ذات مرة، وعندما أخبرته أنني أريد امتهان هذه المهنة بضعة أيام قال لي انوي أنت فقط واترك الباقي عليّ.

أخذت عالية حجرًا وقذفته وهي تقول:

-غريب أنت، لك عالمٌ خاص، من يعرفك لا يتصور أنك مُتخرج من كلية الهندسة.

-ليس أغرب من هذا العالم المليء بالحروب والصراعات والعنصرية على لا شيء، بالتأكيد لن تجدي في عالمي شيئًا من هذا.

ضحكت عالية وقالت:

-قُلت لكَ أنك غريب، ونسيت أن أخبركَ أنني اعتدتُ غرابتك هذه وأحببتها.

ابتسم فارس وقال وهو ينظر لها:

-وأنا لم أعتَد شيئًا في حياتي سواكِ.

قال ذلك وجذب عالية نحو كتفه وأحاطها بذراعه، توسدت هي كتفه وأغمضت عينيها في راحة.

وردّد الاثنان نهاية الأغنية مع فيروز وهي تقول "إنما الناس سطورٌ كُتبت لكن بماء"

*****

الثالثة والنصف صباحاً..

وصلتُ إلى نهاية الرواية بعد صراع مع مجاهدة النوم، لم تعد لي سلطة على عينيّ؛ أغلقا وحدهما وفلتت الرواية من يدي ووقعَت على صدري، وخلدتُ في سبات عميق.

دق منبه الهاتف العاشرة صباحاً في موعد استيقاظي ولم أسمعه، علمتُ ذلك حين جاء جدي أيقظني وأخبرني أنّ الساعة الآن العاشرة والنصف ،فقلت وأنا أهرش في رأسي متثاقلاً:

-حسناً، سأستيقظ بعد قليل، اتركني خمس دقائق أخرى.

قلت ذلك وأكملت نومي؛ ففتح جدي النافذة المقابلة لوجهي وقال:

-لن أتركك، هيا قم.. كيف يأتيك نوم واليوم هو افتتاح أول معرض لك في حياتك.

وأكمل وهو يغادر الغرفة:

-سأنتظرك بالأسفل؛ لتناول الفطور.

تسلطَت أشعة الشمس على وجهي ؛فقمت مجبراً نظرت إلى حذائي على الأرض؛ لأرتديه، فوجدت الرواية ملقاة بجواره، ابتسمت وأنا أميل لأجلبها فقد تذّكرت حُلُمي بريماس عندما جاءت لي المعرض وأخبرتني أن جميع لوحاتي رائعة وتتمنى أن تصبح فنانة مثلي يومًا ما، فأخذت الرواية ووضعتها على الكومودينو، تمنيت بداخلي أن يأتي دكتور فريد المعرض اليوم؛ لأتناقش معه بها.

*****

الثالثة مساءً..

الآن داخل قاعة في ساقية الصاوي بالزمالك أعلّق آخر لوحة تلك التي كنت أرسمها أمس، أسميتها لوحة الباريدوليا.

علقتها ووقفت أمامها أنظر لها، حتى مر أحد أصدقائي الذين معي ليساندوني من جواري؛ فأوقفته وقلت:

-ما رأيك في تلك اللوحة؟

نظر لها صديقي وقال:

-رائعة، ألوانها متناسقة جدًا وبها راحة نفسية.

انتظرت أن يقول أي شيء عن وجه الفتاة، ولكنه غادر فور انتهاءه من تلك الجملة، استنتجت أنه لم يلاحظه، تأكدت بذلك أنه بالفعل لن يلاحظه أحد حتى يدقق في اللوحة أكثر.

عُدت لما أفعله من ترتيب لبرنامج اليوم حتى جاءت الرابعة عصراً، وبدأ معارفي بالتوافد، وقفت لاستقبالهم مع جدي.

بعدما حضر عدد لا بأس به وقفت بينهم جميعًا وأخبرتهم عن تلك اللوحة المميزة التي تُدعى الباريدوليا.

وظلَلتُ أراقب تعبيرات وجوههم وهم ينظرون إليها، جميعهم يحبون الفن ويقدّرونه، فكنت أرى الانبهار في عيونهم.

حقًا أجمل ما في الحياة أن ترى حلمك واقع أمام عينيك.

اتجه جدي إلى استراحة وبقيت أنا، بين كل حين وآخر كنت أنظر إلى الباب منتظرًا دخول دكتور فريد، حتى وجدته يدخل منه، سررت كثيرًا واتجهت نحوه، شكرته على وجوده وهنأني هو على إقامة المعرض، أعطيته قطعة شكولاتة ودعوته لرؤية اللوحات،

أبدى إعجابه الشديد بأول لوحة رآها، كانت بورتريه لسيدة ريفية بالألوان "السوفت باستل" وتوالى إعجابه لبقية اللوحات، حتى جاء عند لوحة الباريدوليا، وقف أمامها وقال:

-تلك هي لوحة الباريدوليا .. أليس كذلك؟

-أجل هي.. هل لاحظت الوجه؟

أومأ برأسه، وبصره مازال متعلق باللوحة دون أن ينظر لي، فقُلت:

-ولماذا كان فارس الوحيد الذي يرى وجه عالية في الحائط وحسن لا يراه؟

قال دكتور فريد:

-لأن تلك الفتاة كانت من وحي خياله هو.

ثم نظر لي وقال متسائلاً:

-هل قرأت الرواية؟

-قرأتها أمس في جلسة واحدة.

-وأين رأيك إذن؟

ابتسمت قائلاً:

-مشوقة جداً، لم أستطع تركها إلا بعدما انتهيتُ من قراءتها.

رأيت ابتسامته تتسع، وأنا أكمل:

-مررت بمراحل كثيرة وشعور مُتضارب، أحببت لا مبالاة فارس للأمور الحياتية ومنطقه في استمتاعه بالحياة، وكرهت ضعف عالية، وانبهرتُ بطموح شادي وفلسفته وبراءة ريماس، وأعجبت بتمسك مروة بأحلامها، وكرهت ضعف حسن وتمسكه بالماضي وأحببت عِزَّة نفس رغد ومصطفى، وأحببتُ حسام وأحمد رغم وجودهما الثانوي، ولكني لم أرَ الباريدوليا سوى في قصة فارس وعالية.

-الباريدوليا في جميع القصص لو انتبهت.

رفعت أحد حاجبيّ استغرابًا، وقلت:

-أين الباريدوليا في قصة ريماس وشادي إذن؟!

قال دكتور فريد مبتسماً:

-شادي رأى مستقبله في ريماس التي كانت تدعمه وتجعله يشعر أنه أعلم أهل الأرض، ومصطفى رأى مروة من خلال حسابها على الفيس بوك ومتابعته لها عقله كون صورة عنها دون أن يراها، ولكنه رأى أنه يحبها، رأى فيها الحب، أما حسن فكان يرى أن حبيبته ستعود له، وهذه هي الباريدوليا "تفسير الأشياء الغامضة على أنها أشياء معروفة" كما أخبرك جدك.

أومأت برأسي أنني أفهمه، وقلت:

-إذن الباريدوليا تحدث لنا جميعاً.

-بالضبط.

جاء جدي من الخلف وهو يقول مُبتهجاً:

-ماذا؟! دكتور فريد! أخيراً رأيتك يا رجل.

التفت له دكتور فريد؛ فتركتهما معًا وشردْتُ أنا في فتاة اللوحة، هل من الممكن أن تكون حقيقة؟!

*****

تمّت بحمد الله

شكر خاص لـ :

أمنية محمد الصاوي.. رشا عاطف.. رغدة أحمد.. سماح عبد الرازق

نوران حسن.. فاطمة حسن.. سماء النجار.. ميادة أحمد

سارة الشامي.. هدير أحمد.. فاطمة صابر.. إسراء مجدي

صباح أسامة.. مرفت رضوان.. إيمان علي.. ندى كمال

ولاء هيكل.. زينب محمد.. آية معوض.. آية الدسوقي

آية الخولي.. مريم أشرف.. مريم حمدي.. تقوى محمد

سماح محمد.. مروة صبري.. هبة عبد الدايم.. مروة إبراهيم

أستاذة عفاف محمود صالح.. أستاذة رانيا زيت حار..

أستاذة منى علي أستاذة عبير أحمد.

وإخوتي نرجس علام.. أمير علام.. عمرو علام.

ولكل من قدم لي يومًا دعمًا أو تحفيزًا شكرًا لكم من الأعماق.

رسالتنا :

نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017